روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 0

عزيزاتي القارئات،
تحية عاطرة وبعد،

لا شك أنكم طالعتم العديد من القصص الرومانسية المنشورة في كل مكتبات العالم العربي وحيثما تباع الصحف والمجلات، ولا شك أنكم تنعمتم بأوقات حالمة حملتكم خارج الواقع إلى عالم العاطفة والمشاعر الانسانية النبيلة.

وإني إذ أتقدم إليكم بهذه الهدية، أتمنى لكم مطالعة سعيدة وحظاً مشرقاً ودمتم للمخلصة دائماً.

عبير

لبنان [illegible]	الكويت [illegible] ف	اليمن ٨ ر	السودان [illegible] م
سورية [illegible]	الامارات ٩ د	تونس ١ د	U.K. £ 1
الأردن [illegible] ف	البحرين [illegible] ف	ليبيا [illegible] د	France F 10
العراق [illegible] ف	قطر ٩ ر	المغرب ٨ د	Greece Drs 120
السعودية ٨ ر	عمان [illegible] ب	مصر [illegible] م	Cyprus P 1

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية
LOVE'S PRISONER

المراسلات:
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

١ ـ الايرلندي الأسمر

الظلام يلف غرفة الاستقبال التابعة لمنزل عائلة سميث. مدفأة الحطب مشتعلة يلف نارها يتلوى. الاسطوانة تبث أغنية حب بصوت ناعم وعذب، بينما داليا سميث متكورة حول وسائد الأريكة. تدندن مع الأغنية وتبتسم وتتذكر ما حصل صباح هذا اليوم بين عمها هاري وزوجته سوزان. هذه الأخيرة كانت تصر على زوجها أن يصطحبها في المساء خارج المنزل. وكانت داليا تتذكر المشهد ثانية والعمة سوزان تعلن بصوت مضطرب:

«أرفض أن أكون هنا عندما يأتي شيريدان لاصطحاب هيلين. إنه من [illegible] ولا أفهم لماذا تفسح له هيلين في المجال بوقاحة قابلة دعوته. لا يمكن الواحد منا أن يشعر بارتياح مع هذا الانسان المتكبر».

اعترض العم هاري على نظرة زوجته السلبية وقال:

«[illegible] يا سوزان. اعترف أنني لا أحبذ كلياً هذه الصداقة بين هيلين و بيتر شيريدان، لكن لا يجب أن نحكم عليه مسبقاً. في كل حال إن حكمك في غير محله».

نظرت العمة سوزان إلى زوجها في مرآة المدخل وهي تعتمر قبعة صغيرة، وكانت مضطربة، غاضبة فأضافت:

«وماذا تعني بالضبط؟»

«ليس شيريدان كبقية الشبان الذين تعودنا رؤيتهم هنا في المنزل، أليس كذلك؟ إنه يقلقك لأنه ليس واحداً من هؤلاء الشبان المتحذلقين الذين لا يفكرون إلاّ بالرقص والسباحة وكرة السلة. إنه رجل أعمال كبير، قاس وعنيد ولا يمكنه تجنب الظهور بمظهر المدير، مثلما لا يمكنني تجنب الظهور بمظهر مدير شركة التأمين. ماذا بامكانه فعله إذا كانت الطبيعة وهبته بنية ممشوقة متناسقة، تجعله مختلفاً عن معظم الذين تعودنا رؤيتهم؟»

أعجبت داليا بكلام عمها، لأن بيتر شيريدان يتمتع برجولة بارزة وأكيدة.

لكن العمة أصرّت في عناد على القول:

«لا شك أنه رجل يتمتع بخبرة طويلة. إذ لا يمكن لواحد في السابعة والثلاثين من عمره أن يبدو بهذه القساوة ما لم يكن عاش حياة مليئة بالتجارب على أنواعها. لذلك، لا أريد أن تعاشره إحدى بنات أخيك؛ لا شك أنه يتردد بصورة مستمرة على النوادي الليلية حيث يحصل كل ما هناك من أمور غير اعتيادية».

ضحك هاري وقال:

«دعك من هذه الاحتمالات التافهة، يا سوزان. في أي حال إنّ هيلين فتاة ناضجة، تجاوزت الحادية والعشرين وهي قادرة أن تسهر على نفسها كما يجب. بينما لو كانت داليا هي المدعوة، لكان من حقك أن تقلقي، يا زوجتي العزيزة».

ولما تذكرت داليا هذا الكلام، ضاعت البسمة عن وجهها الذي أكفهر فجأة، وتناولت قطعة شوكولا ووضعتها في فمها بعصبية كأي فتاة في التاسعة عشرة. للأسف، إنها تبدو للغير وكأنها ما زالت تجهل كل شيء عن أسرار الوجود والحياة!

في هذه اللحظة رن جرس الباب. نهضت داليا مسرعة إلى النافذة، وأزاحت

[illegible] لكنها لم تر السيارة الضخمة أمام الباب. ولما فتحت الباب كان طوني [illegible] واقفاً على العتبة.

«مرحباً أيتها [illegible]»

[illegible] هنا بابتسامة مستسلمة، لكنها كانت تبدو في هذه اللحظة [illegible] طوني وسألها:

«هل [illegible]؟»

«[illegible] الخروج».

[illegible] داليا نحو غرفة الاستقبال وتبعها طوني حتى المدفأة وقال:

«[illegible] هذا المساء؟ هل أعرفه؟»

كانت في صوته غيرة قاسية. تناولت داليا الملقاط وحركت النار في حركة [illegible] وعصبية، وهي تفكر بأن الحب يحرم الانسان شهامته ويجعله مهرجاً، أو [illegible] ترقص في طرف خيط تقع، تقفز ثم ترقص من جديد. أرادت أن تصرخ في وجه طوني وتقول له:«لماذا تسمح هيلين أن تجرح شعورك بهذه الطريقة؟ في لاوتون، عدد كبير من البنات، ربما أقل جمالاً منها، لكنهن لسن طموحات إلى هذه الدرجة»

أوقفت الاسطوانة وحاولت أن تبدو متهاونة وهي تحدثه عن بيتر شيريدان. وبدا طوني مذهولاً:

«هل تسخرين مني، يا داليا؛ كيف بامكان هيلين أن تتعرف إلى رجل كهذا، هنا في لاوتون؟ إنه مدير أهم وأكبر مؤسسات الحمضيات في العالم».

«أعرف ذلك تماماً. أنا من تعرف إليه أولاً».

«أنت؟»

«حدث ذلك منذ أسبوعين. كان الثلج ينهمر عندما خرجت من مكتب عملي، وبينما

كنت أجتاز الطريق العام، انزلقت وسقطت... وتوقفت سيارة على مقربة مني وظهر منها رجل وحملني بين ذراعيه. لم أفقد وعيي تماماً فعرفته في الحال، لأنني سبق وشاهدته على الشاشة الصغيرة في إحدى المقابلات. شعرت بحرج وأنا أنظر إلى عينيه وأسمع كلمات التوبيخ منه، إذ اتهمني بأني كنت أجتاز الطريق وكأنني في حلم. وأنا اتهمته بأنه كان يقود بسرعة وكأنه في سباق سيارات»

دمدم طوني قائلاً:

«هكذا هي دائماً عجرفة العصاميين. وماذا بعد، هل تصرف بلياقة وأوصلك إلى المنزل في سيارته؟»

«نعم ودعوته إلى احتساء فنجان قهوة داخل المنزل».

«وهكذا تعرف إلى هيلين؟»

«نعم...»

بعد ذلك قامت داليا باخبار طوني أن بيتر دعا هيلين إلى تناول العشاء وإلى حضور مسرحية في مدينة برايتون. كما أخبرته أنه مقيم في أحد فنادق الدرجة الأولى، بانتظار انهاء معاملات شراء منزل فخم في منطقة الداونز والمنزل المذكور قديم العهد وينوي بيتر شيريدان ترميمه وتجديده وإضافة حوض سباحة إليه.

همس طوني بيد مرتجفة وهو يشعل سيكارة وعيناه الرماديتان تشعان غضباً:

«إنه ثري كبير، أليس كذلك... يملك سيارة فخمة ويرتدي الملابس الثمينة ويتردد إلى المطاعم والنوادي الفاخرة. ومن أكون أنا؟ شريك صغير في عيادة طبية ريفية، سيارتي صغيرة وقديمة وملابسي رخيصة وعادية...»

كان طوني شاباً نحيلاً، نظراته ذكية ولحيته شقراء ناعمة. يلمع شعره لمجرد

[illegible] فهمت داليا تماماً لماذا ترى فيه عمتها سوزان ذلك الرجل الصريح والمهذب والجدير بالثقة بالنسبة إليها إنه يملك كل الفضائل [illegible] بالنسبة إلى هيلين بالذات، يمكن إهماله بسهولة...

صرح طوني وهو يدخن بعصبية:

«[illegible] هيلين منذ أن جئتما تعيشان هنا بعد وفاة والديكما. لا يمكنني أن أغيّر [illegible] أحاسيسي وعاطفتي نحوها، حتى ولو أنها تفعل ما تريده وتكذب علي كلما [illegible] لقد التقيت بها أمس في المدينة، ولم تخبرني عن هذا الرجل [illegible].

توقف لحظة ورمى رماد سيكارته في المدفأة وراح يتأمل وجه داليا الصغير [illegible].

«ما كان يجب أن أحدثك عن كل هذا، يا داليا، لكن ليس هناك إنسان آخر يمكنني أن أصارحه بهذا الوضوح. وأؤكد لك أني لم أعد أتحمل كل هذه الأمور. لقد طفح الكيل. بامكاني أن أفعل أي شيء من أجل هيلين، تقريباً كل شيء، لكني غير قادر أن أغادر لاوتون. إنها لا تأبه لوالدي الذي قام بتضحيات كبيرة كي أتمكن من متابعة دراسة الطب وأعود إلى هنا لأصبح شريكه في العيادة. إنها تسخر مني كيف أصرّ على البقاء هنا... يا داليا، لا يمكنني أن أخيّب آمال والدي وأتركه وحده بعد موت والدتي، حتى ولو اضطررت أن أخسر هيلين».

«كلا، يا طوني، لا يجب عليك أن تتخلّ عن والدك من أجل هيلين. أنت على حق في البقاء قربه ولا يحق هيلين أن تطلب منك الرحيل من هنا، عن لاوتون، . إنها أحياناً تستعمل جمالها كسلاح»

هزّ طوني رأسه، مدهوشاً، إذ أدرك أنه برغم صغر سنها، فإن داليا تملك

تفوقها وتبدو شقيقتها سطحية مقارنة بها.

«هل يعجبك بيتر شيريدان، يا داليا؟»

استدارت نحو المدفأة، كأن النار تسحرها وأجابت:

«وما أهمية ما أفكر بالرجال الذين تقابلهم شقيقتي؟»

«إن رأيك ثمين بالنسبة إليّ يا داليا. أنت تتحلّين بحس مرهف وقدرة على استيعاب الأمور وفهمها أكثر من أي فتاة أعرفها، حتى ولو أنك ما تزالين صغيرة».

أجابت معترضة:

«أنا لست صغيرة! الجميع ما زالوا ينظرون إليّ وكأني ما أزال في مريول المدرسة أعقد شعري الطويل ضفائر إلى الوراء... منذ سنتين ولم أعد أرتدي المريول وقصصت شعري الطويل».

ابتسم طوني وهو يتفحص داليا من وراء دخان سيكارته. شعرها القصير يبدو كريش نحاسي صغير، والنمش يملأ خديها المكورتين وأنفها الصغير المستقيم، ولها جاذبية التماثيل الخشبية.

«لا شك، يا داليا أنك كونت فكرة مسبقة عن شيريدان، صاحب الأموال الطائلة. أرجوك، ما رأيك فيه؟»

عقدت يديها وتخيلت بيتر تحت الثلج، الذي كان يلمع في شعره الأسود، وفي ذراعيه اللتين حملتاها من دون أي جهد، وفي عينيه الخضراوين الساحرتين الجذابتين. تخيلت تعبير وجهه الغامض...

اطلقت عليه أجهزة الاعلام لقب «القطب الغامض». وهذا اللقب يليق بيتر شيريدان، الصبي الايرلندي اليتيم، الذي سافر إلى أقصى أرجاء العالم ليكوّن لنفسه ثروة كبيرة. في أفريقيا الجنوبية عانى قساوة الحياة التي يعيشها عامل

[illegible] إلى أن أصبح يملك استثماراً صغيراً في أحد مصانع المربى. [illegible] من ذكريات طفولته البائسة، المليئة فقراً والخالية من أي حنان، [illegible] من شأن مركزه، فوسّع نطاق أشغاله وانطلق في إنتاج المشروبات الغازية وعصير الفاكهة التي أصبحت مشهورة في أنحاء العالم.

[illegible] الجميع أنه من الممكن الوصول إلى أعلى قمم الثراء، انطلاقاً من لا شيء. لكن القصص التي تحاك حوله عامة ومبهمة. كان يقال عنه [illegible] الجميع. لم يبلغ الأربعين من العمر ومع ذلك لا أحد يعرف شيئاً عن حياته الخاصة. الناس معجبون بقدرته على جمع الأموال... والنساء يتطلعن إليه لأنه غني ويتمتع بجمال رجولي داكن، لكن هذا «القطب الغامض» ما زال عازباً حتى الآن.

همست داليا تقول:

«إنه رجل قدير جداً لكنني لا أعتقد أنه سعيد كما يجب. يملك أموالاً طائلة... لكن هذا لا يكفي، ما رأيك؟»

«أنا وأنت، نعرف أن ذلك لا يكفي».

ألقت داليا نظرة سريعة الى وجه طوني الذي يختلف كلياً عن وجه بيتر الأسمر القاسي، لكنه اذا ابتسم يظهر تجعيدة ساخرة وقالت وهي تبتسم أيضاً:

«لا يجب أن تلومه إذا أراد أن يصطحب هيلين إلى السهرة، لليلة واحدة. إنها فتاة مسلية ومرحة!»

«ربما أراد أكثر من سهرة واحدة. ربما وقع في غرامها!»

«نعم... إنه وحيد و هيلين فتاة رائعة. عندما يكون المرء وحيداً، يصبح الحب كالوباء، يفتك بالجسم الضعيف. يلتقطه من دون أن يعرف ما يحدث له».

قال طوني ساخراً:

«من يسمعك يعتقد أن الحب كالزكام. في أي حال، ماذا يمكن لفتاة صغيرة مثلك أن تعرف عن الحب؟»

«إني... يمكنني أن أتصور...»

احمرت وجنتاها مما جعل طوني يقول:

«هل هناك أسرار تخفينها عنا، يا داليا. هل أنت مغرمة بأحد موظفي شركة الضمان الاجتماعي حيث تعملين؟»

«يا إلهي، من أين لك هذا. ليس لدي أحد».

«ألم يسبق أن امتدحك أحد أو دعاك للخروج معه؟»

«شكراً، أنا لا أريد أن يحدث ذلك. إن الرجال العاملين معي ليسوا سوى مجموعة تافهين يرتبكون لرؤية أي امرأة تمر قربهم».

«أنت انسانة رائعة يا داليا وخاصة عندما تلمع عيناك السمراوان الكبيرتان استغراباً».

قالت ضاحكة:

«كعيون الكلاب!»

«على فكرة، أنت تشبهين قليلاً هيلين، لم ألاحظ ذلك من قبل».

وضعت داليا يدها على خدها وداعبت بشرتها الحريرية وقالت:

«لم يخطر في بالي أننا متشابهتان. هيلين فتاة ديناميكية، يقظة وساطعة».

قال طوني وهو يشد شعرها:

«أنت حاذقة يا داليا. انتما تختلفان كلياً، أنكما كالماء والشراب».

«أنا كالماء. أليس كذلك؟»

«نعم، وهيلين كالشراب الحار تطلع إلى الرأس وتجعل الواحد يفقد توازنه

[illegible] واضحة، نقية، بريئة، تثيرين الاحلام [illegible]»

[illegible] بحركة خاطفة وقال:

«من الأفضل أن أذهب قبل أن يصل المليونير الكبير»

[illegible] طوني كلماته هذه حتى رن الجرس. فتحاشت داليا النظر [illegible] الباب. وما أن وصلت إلى الممر الضيق حتى سمعت [illegible] حريري. ورفعت نظرها إلى السلالم حيث وجدت هيلين واقفة [illegible] وترتدي فستاناً حريرياً بلون الورد، استعارته من [illegible] حيث كانت تعمل كبائعة وعارضة أزياء. وخيّل لداليا إن شقيقتها [illegible]

[illegible]»

[illegible] هيلين على رأس الدرج، مستعدة لأغراء بيتر متى اجتاز العتبة [illegible] داليا على أختها التي تنصب شركاً لبيتر، [illegible] طوني غريغ. فاسرعت تفتح الباب وتوارت وراءه [illegible] بيتر سوى هيلين حين يدخل. لكن الذي حدث كان عكس ذلك [illegible] بيتر نظر إلى داليا التي ارتبكت وشحب وجهها، وقالت:

«مساء الخير يا سيد شيريدان».

«مساء الخير، ماذا جرى لك؟»

كان صوته وقوراً ولهجته ايرلندية بحتة. ظلت داليا صامتة، فأضاف:

«تبدين متعبة يا داليا. هل تعملين ساعات إضافية في مركز الضمان الاجتماعي؟»

«حالياً لدينا أعمال كثيرة... كما أني أحصل على راتب إضافي... لا شك أني بحاجة إليه»

قال ساخراً رافعاً حاجباً واحداً:

«أنت؟»

ثم التفت نحو هيلين التي كانت تهبط السلالم بهدوء، وثوبها الحريري الطويل يجرّ وراءه سترة من الفرو. كانت تبدو كأنها تملك كثيراً من هذه الملابس الفاخرة، وكأنها لم تستدن المال اللازم من داليا لاستئجار هذا الثوب. فالواقع إن كل ما تحصل عليه لا يكفيها ثمناً لهذا الثوب وهي دائمة الاستدانة.

«من العادة أن يمدح الفارس رفيقته المدعوة...»

كان صوتها مبحوحاً وغريزياً وعيناها الياقوتيتان تتأملان معطف بيتر الأنيق الرمادي الداكن.

«هل أنا مناسبة لك يا بيتر؟»

«هل هناك كلمات قادرة على وصفك؟»

ابتسم بسخرية وقدم لها علبة وقال:

«باقة القرنفل هذه عربون مديح يا هيلين»

«قرنفل، يا بيتر؟»

لمعت عينا هيلين فرحاً عندما تناولت العلبة وتوجهت إلى قاعة الاستقبال. لحقت بها داليا وراحت تنظر إلى شقيقتها وهي تفتح العلبة وتخرج منها باقة القرنفل المشلعة بالذهب.

«إنها رائعة يا بيتر!»

همس طوني قائلاً:

«وأنت رائعة أيضاً».

التفتت هيلين بسرعة وقالت:

«آه... إني... لم أرك».

[illegible] بيتر [illegible]

[illegible] داليا [illegible] طوني غريب! والآن قل لي، أين أضع هذه [illegible]

[illegible] الباقة ووضعتها على خصرها وحينئذ أومأ بيتر برأسه موافقاً، [illegible]

[illegible]

[illegible] هيلين، وعيناها الذهبيتان تغربان بيتر [illegible]

[illegible]

[illegible] داليا [illegible] بسرعة غريبة لما رأت من قساوة في هيلين [illegible] طوني [illegible] كيف تجرؤ أن تقول إن طوني هو أحد [illegible] داليا [illegible] طوني المسكين. كان يبدو تعساً وكأنها صفعته أمام [illegible]

«داليا... طوني... هل يعجبكما فستاني؟»

تبخترت هيلين طولاً وعرضاً وسط حفيف الحرير ورائحة عطر ناعم ينبعث من بشرتها.

قال طوني ساخراً:

«إنها تفوح بعطر رائع، أليس هذا صحيحاً، يا زهرة؟»

رنّ ضحكة صغيرة جذب طوني داليا إليه، فقالت هيلين وهي تنظر إلى نفسها في المرآة التي تعلو مدفأة الحطب، بينما استدار تنظر بيتر نحو طوني الذي ضمّ داليا إليه، وقالت هيلين:

«إنهما يشكلان اثنين رائعين. هل توافقني يا بيتر؟»

اجتاحت ارتعاشة جسم داليا وقد فوجئت بوقاحة شقيقتها التي تكذب

بسهولة وتبدو بريئة كبنت صغيرة لا تعرف أن تميّز بين الخير والشر.

فقال طوني:

«هذه التمثيلية الايمائية تبدو لي واهية ومتعثرة. هنا سندريلا... هيلين طبعاً. وهناك فتى الاحلام، لكن ما هو دور داليا في هذه التمثيلية؟»

ثم سأل داليا وهو يبتسم:

«أي دور تلعبين هنا، يا داليا، لست بكل تأكيد إحدى الشقيقتين!»

قالت هيلين وهي تقترب من بيتر وتأخذ بذراعه:

«إنها ساحرتي. هي التي طرقت الباب المخفي الذي انفتح على فتى أحلامي».

كان بيتر يتأملها في سخرية ويقول:

«إذا كانت ذاكرتي لا تخونني، اعتقد أن سندريلا كانت فتاة خجولة».

أجابت هيلين من دون اضطراب:

«آه، إن الأمور تغيرت مع مرور الزمن. في أيامنا، تعرف سندريلا ما تريده ولا تتكل على إضاعة إحدى زوجي أحذيتها».

قال بيتر ساخراً:

«يا للأسف. كنت أفكر دائماً إن ذلك هو الجزء الأكثر جمالاً في القصة».

قالت هيلين في استغراب:

«لا تقل لي أنك تحب القصص الخرافية!»

قال رافعاً أحد حاجبيه:

«وأنت ألا تحبينها؟ لا تنسي أني رجل ايرلندي. منذ الصغر نتعلم أن نؤمن بأن العفريت يخرج في الليل ليحرضنا ويضللنا».

وللحال قهقهت هيلين ضاحكة وشعرت داليا أن نظرات بيتر تحدق فيها وفي شعرها القصير وجسمها النحيل. فاقتربت من طوني الذي لم يكن

[illegible]

[illegible] يضع على كتفيها سترة الفرو ويقول:

«[illegible] الرائعة إلى الثلج بكسر المرتفعات!»

[illegible] وقالت:

[illegible] أليس كذلك؟»

[illegible] طوني ووضعت الوسائد في مكانها على [illegible] بيتر

[illegible]

[illegible] الغضب وقالت:

«[illegible] أصبحت كبيرة لهذا اللقب!»

«[illegible] تفكرين فيما يخص هذا اللقب».

[illegible] طوني بجفاف ثم رافق هيلين إلى [illegible]

في صباح اليوم التالي، أخبرت هيلين شقيقتها داليا كل ما حدث في سهرة الأمس.

«كانت سهرة رائعة. كنا برفقة رجال يدخنون السيكار الفاخر، ونساء يرتدين معاطف الفرو والمجوهرات الثمينة. وتناولت طعاماً طيباً ولذيذاً في أحد المطاعم الفخمة حيث عاملني الخدم كما يعاملون الأميرة!»

كانت عينا هيلين تلمعان فرحاً لكنها لم تتحدث عن الرجل الذي جعل هذا الفرح ممكناً. أضافت تردد وتقول:

«كانت فعلاً سهرة رائعة ومرحة، يا داليا. كأنني لم أعش بعد، لأنه، حسب

رأيي، لا يمكن للانسان أن يعيش كما يجب إذا كان لا يملك المال... المال الوافر. وعندما يملك الانسان مالاً كثيراً، يحترمه الآخرون، وإذا كان لا يملك المال، يعتبر لا شيء. لا فائدة للجمال إذا لم يستطع الانسان أن يظهره في الأماكن الأنيقة. وفي ملابس رائعة... داليا، لقد رأيت رجالاً ينظرون إليّ، إنهم يعترفون بجمالي وهذا سحرني للغاية، أكثر من الشراب الذي شربناه».

لم تتمكن داليا من عدم الضحك لفرح شقيقتها الطفولي. لاشك أن ذلك طبيعي، ان تريد شقيقتها الجميلة والجذابة فساتين رائعة وإعجاب الغير بها. لكن هل تريد الحب؟ هل يرغبها بيتر؟

تفحصت هيلين شقيقتها الصغيرة كأنها عرفت ما يدور في ذهنها، ثم أكملت تقول في جدية:

«بيتر، يريد ربة منزل أنيقة تدير هذا المنزل الكبير الذي اشتراه. يريد لعبة جميلة بإمكانه أن يلبسها ويعرضها وبإمكانه أن يتسلى معها. ان أكون لعبة بيتر شيريدان، هذا لا أمانع فيه... طبعاً إلى جانب الناحية المادية في الموضوع».

ابتسمت هيلين ونظرت إلى يدها اليسرى الناعمة كأنها ترى في أصبعها خاتم الماس الرائع.

وداليا توجهت إلى جهاز الأسطوانات واختارت أسطوانة ناعمة وعاطفية وضعتها وملأت الموسيقى الغرفة. اقتربت هيلين منها وأمسكتها من خصرها وقالت:

«أنت من طراز قديم، أليس كذلك، يا حبيبتي؟ ما بك؟ هل بيتر يخيفك؟»

«لماذا تعتقدين ذلك. إنه يعتبرني تلميذة صغيرة وعلى هذا الأساس يعاملني».

أصرّت هيلين ضاحكة وهي تقول:

«أعتقد أنه لا يعجبك تماماً. إنه ممشوق أكثر من اللزوم. إنه ايرلندي أسمر.

[illegible] إني أحذرك ألا تظهري له ما [illegible]

[illegible]

[illegible] الجميلة. متى عرفه الواحد [illegible] كما أنه يحب الرقص».

[illegible] وهي تدخل إلى قاعة الأستقبال، [illegible] لنتحدثا عن الرقص».

[illegible] ليست في حاجة أن يقول [illegible] سريع العطب، وبأمكانه أن ينجذب بسهولة [illegible] من الرجال. لكنها حين كانت في ذراعيه تحت [illegible] وحيد وفي حاجة لأن يحبه الأخرون من [illegible]

[illegible] كانت تعشق الأشياء المادية التي يمكن أن يقدمها بيتر، [illegible] النادرة والرحلات الساحرة.

[illegible] العاطفي خطر جداً.

٢ ـ الطريق إلى منزل الحلم

وذات يوم رافقت هيلين بيتر إلى سباق الخيل وتعرفت إلى غاري كونواي الذي عاد معهما إلى منزل عائلة سميث. إنه يبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عاماً وهو عازف بيانو ذو موهبة رفيعة ومستقبل فني واعد، وذلك بفضل بيتر شيريدان الذي احتضنه بعدما فقد والده في أفريقيا في حادث مؤسف، وكانت أمه أيضاً متوفاة.

فيا بعد أخبر غاري داليا أنه كان لا يزال في سن المراهقة عندما توفي والده ومن ثم عاش في كنف بيتر الذي أمن له تعليماً متيناً وامكانية أكمال دراسته الموسيقية. أنه يكن لولي أمره تقديراً صادقاً وهذا كان أبرز بذور الصداقة التي بدأت تتفتح بينه وبين داليا.

نحافته وابتسامته المترددة وعيناه الرماديتان وشعره العاصي، كل هذا كانت العمة سوزان معجبة به. استقبلته في منزلها بطيبة خاطر، ولم تظهر عن اشمئزاز أو حذر كما فعلت تجاه بيتر أو «القطب الغامض». وهذا الأخير إنسان كريم كما اعترفت أخيراً سوزان، إذ يبدو كأنه يمرح ويتسلى وهو يقدم لهيلين جرعة من هذه الحياة العصرية التي كانت دائماً تحلم بها. كذلك وقّع مع العم هاري عقود تأمين لا بأس بها، ومع ذلك فما زالت العمة تعتبره إنساناً خطراً... خاصة عندما يظهر بقامته الطويلة بين الستائر القطنية الموشاة والآنية المزخرفة في قاعة

[illegible]

[illegible] تشعر بارتياح كبير لاختيار [illegible] أكثر معرفة بأمور الحياة من [illegible]

[illegible] من المحتمل أن يغازلك أنت. لكن لو فعل، [illegible]

[illegible] أن ترفع نظرها عن الكتاب:

[illegible] من طرازه».

[illegible] أعرف شخصاً يعتقد أنك من طرازه».

[illegible] عن مناكفة عمتها وتقول في ارتباك:

[illegible] تقصدين؟»

[illegible] غاري شاب لطيف وما كنت تقبلين الخروج [illegible] وحسن حظي، أنكما، أنت واختك، بنتان عاقلتان، [illegible] من هذه الناحية».

[illegible] هيلين في الاعجاب بالرجال كانت دائماً سبب هموم العمة [illegible] داليا وقالت

«هيلين رائعة الجمال! وهي تجذب الرجال بالرغم منها».

[illegible] لكن ليسوا جميعهم من النوع الذي يعجبني. لو أنها فقط ترضى بالاستقرار مع طوني. إنه شاب لطيف، جدير بالثقة وعائلته لم تغادر لاوتون [illegible] ونعرف عائلته من زمان.. ماذا نعرف عن بيتر شيريدان، غير كونه ذا ثروة طائلة؟»

«عمل بكد وجد ليربح هذه الثروة الطائلة. إنه يعامل غاري كابن له. وهذا

من الأسباب التي جعلته يشتري بيتاً في انكلترا، إذ انه يريد أن يبدأ غاري مهنته هنا».

«نعم، إنه إنسان طيب، فيما يختص بغاري. لكنه ما زال يحيرني. مثلاً، طريقة ضحكه؛ ألا تعتقدين أن ضحكته خبيثة. لا يمكن لأحد أن يعرف ما يخفي وراءها».

«إنه وقح. لكن ذلك هو قناع يخفي وراءه أحاسيس عميقة. إنه نوع من درع يحتمي فيه».

«هه. هه».

لا يمكن لعمتها أن تستوعب القول بأن بيتر شيريدان في حاجة إلى حماية ما. قالت:

«إنه قاس كالحجر، وعلى هيلين أن تحذر منه. إنها تعتقد بأنها تستطيع السيطرة على أي رجل كان، وتجعله خاضعاً لأوامرها. لكن إذا حاولت أن تفعل الشيء نفسه مع هذا الرجل، سوف تعض أصابعها ندامة. هو الذي يسيطر عليها وهذه السهرات والزهور والهدايا، ليست سوى مظاهر خادعة».

اعترضت داليا وقالت:

« بيتر ليس هكذا! إنه لا يحاول إغراء هيلين!»

«لا... أعتقد أنه يريد أن يتزوجها، وهذه الفكرة كافية لجعلي حزينة... من أجلها ومن أجله هو أيضاً. إنه نافد الصبر غير قادر أن يعرف أنها جشعة. لكن هل تفهم هيلين أنها متى تزوجته، فلن يقبل منها أي تسوية؟ سيهبها المجوهرات والفساتين الأنيقة، لكنه سيطالب بحقه. سيتصرف كزوج بمعنى الكلمة ويفوت على هيلين الأوان كي تعود من جديد إلى طوتي».

فتحت داليا عينيها الواسعتين وقالت:

[illegible]

[illegible] بيتر شيريدان في حياة هيلين، لانتهى الأمر باختلاف [illegible] غاري. إنه الرجل الوحيد الذي لم ترفضه من مجموعة المعجبين [illegible] كما كانت حزينة ويائسة. ألم تلاحظي ذلك يا حبيبتي؟»

[illegible] رأسها وهي تفكر وران صمت طويل، قطعه العم هاري [illegible] وهو يفرك يديه الباردتين معلناً أن البرد قاس وأنه يريد [illegible]

[illegible] بيتر المنزل وانتهى من ترميمه وتجديده ثم انتقل مع غاري [illegible] هيلين إلى العمال ما زالوا منصبين على إنهاء حوض [illegible] بعناية حجارة السيراميك الخضراء. وذات نهار أحد دعا غاري داليا إلى زيارة المنزل. جاء بسيارته ليصحبها إلى هناك.

[illegible] سيارته الصغيرة في طريق ريفي بعد أن اجتازت الدرب المتعرجة. [illegible] على جانبي السيارة الأشجار والأزهار البرية الليلكية. الهواء منعش معطر بأريج الأزهار يشعث شعر داليا التي كانت تشعر بتلهف ناعم ومرّ في الوقت نفسه لرؤية منزل بيتر.

قال غاري بدفء:

«بيتر إنسان لطيف ولبق. لقد جهز لي غرفة موسيقى لا تخترقها الأصوات الخارجية أعمل كما يحلو لي من دون أن يزعجني أحد. من المستحيل أن أتمكن يوماً من رد جميله».

«أعتقد أنه كلما سمعك تعزف على البيانو يكون قد نال قسطاً من هذا الجميل».

وقعت نظرات الفتاة على يدي الرجل النحيلتين اللتين تقودان السيارة، وتبين

أنهما تختلفان كلياً عن يدي الرجل الذي أوصلها مرّة إلى منزلها تحت الثلج.

أضافت تقول:

«لا شك أنه يشعر بامتنان واكتفاء، لأنه أفسح في المجال أمام شاب موهوب مثلك أن ينطلق ويتفتح».

«يخيّل إلى أحياناً أن بيتر يقدم لي الأشياء التي لا بد أنه كان يرغب بالحصول عليها عندما كان في مثل سني. إنه ذكي جداً ولعله يفضّل لو تسنى له متابعة الدروس الجامعية واختيار مهنة بدلاً من الانطلاق بالرغم عنه في خضم الأعمال الضخمة. ذلك أثر فيه وجعله قاسياً ووقحاً.. الحرمان في طفولته جعله يرغب في الاستقرار المادي، لكن في طريق تحقيق ذلك، لا شك أنه جمع أوهاماً عديدة حول الناس».

وفهمت داليا أن مايقصده غاري في حديثه هذا، هو موضوع النساء، نساء العواصم الكبرى في العالم، اللواتي يبحثن عن اهتمام بيتر بهن وعن هداياه لهن، ولم يسألن مرّة ما إذا كان يملك قلباً يريد أن يتقاسمه مع أحداهن...

انعطفت السيارة في ممر طويل محاط بالأشجار الكثيفة. ثم توقفت أمام ساحة المنزل الجديد الذي دعاه «بلفدير».

والمنزل من طراز قديم، قناطره ونوافذه مؤلفة من مربعات صغيرة. إنه منزل الحلم! النباتات المتسلقة تصل حتى السقف المبني من القش المذهب.

قال غاري وهو يبتسم:

«أعتقد أن هذا المنزل يذكره بأفريقيا الجنوبية، حيث يملك منزلاً ضخماً ذا سقف قش وشرفة واسعة من البلاط الأحمر. هنا المنزل أصغر، لكن لا ينقصه شيء من السحر والجاذبية. ما رأيك أنت؟».

لم تجد داليا الكلمات المناسبة لتعبر عن انتعاشها وافتتانها. إن بلفدير

صومعة خشبية يملكها رجل أعمال منهمك في أعماله الكثيرة وعزلة بعيدة عن ضجيج ومشاكل العمل.

كان بيتر يوجد في لندن يعقد مع أحد شركائه صفقة جديدة، فلعب غاري دور صاحب المكان وأخذ داليا في جولة تفصيلية داخل وخارج الفيلا فأعجبها الأثاث القديم الأنيق والسجاد العجمي المتناسق. كان الديكور آسراً ومريحاً للأعصاب.

تناولا الشاي في غرفة الموسيقى التابعة لغاري وكانت داليا جالسة في مقعد مريح بينما غاري يعزف على البيانو آخر مؤلفاته الجديدة. كانت أصابعه تلامس أوتار البيانو و داليا تصغي كأنها في حلم وتتأمل من خلال النافذة مروج التلال والماشية المتجولة فيها، وأصبحت السماء بلون الورد الضبابي. وبدأ الغسق يملأ الجبل.

ولما توقفت الموسيقى، ران صمت طويل. أخيراً همس غاري قائلاً:

«والآن، ما رأيك يا داليا؟».

أدارت وجهها وأطلقت زفرة صغيرة وقالت:

«هل أطلقت أسماً على هذه المقطوعة».

أجابها وهو يرفع شعره عن جبينه:

«تدعى حورية الغاب وأنت من ألهمتني بها».

انتفضت داليا قليلاً ثم نهضت وركضت إليه لتضمه بين ذراعيها وتقول:

«إنه لحن جميل أحببته. وإني أشعر بالاطراء كوني أنا صاحبة الالهام».

«ألست أستحق أكثر من همسة».

كان يبتسم في خجل. فجأة أجلسها قربه ودعاها إلى أن تبقى مكانها وقال:

«أعتقد أني سأظل سجينك حتى أعطيك قبلة».

طبعت قبلة صغيرة على خد غاري الذي ضمها إليه في شدة. وفي هذا الوقت بالذات انفتح باب غرفة الموسيقى وظهر شبح طويل ثم توقف. فابتعدت داليا عن غاري وصرخت وهي تقف مباشرة:

«سيد شيريدان!»

مدّ غاري يده وأشعل الضوء الذي يعلو البيانو وقال:

«مساء الخير يا بيتر. اعتقدت أنك ستبقى في لندن حتى نهار الثلاثاء».

«جئت لأجلب الأوراق التي سأحتاج إليها غداً في اجتماع مجلس الادارة. سأعود إلى لندن في المساء».

«عندما أفكر بحماستك واندفاعك أشعر بالتعب مكانك. أنت ترهق نفسك كثيراً وأنها أعجوبة إذا لم تنهار بعد».

«إني رجل متين ولا أنهار».

ألقى بيتر شيريدان نظرة خاطفة إلى قميص داليا الأبيض وتنورتها الحمراء، ثم رفع نظره إلى وجنتيها المحمرتين خجلاً فوق النمش، وتوقف هناك طويلاً قبل أن يسألها:

«ما رأيك بهذه الفيللا؟»

أجابت في حذر:

«لا شك أنها رائعة».

قال غاري في تعجب:

«هذا الحدث هو الأهم، هذه السنة. داليا وقعت في غرام هذا المنزل. عيناها كانتا تلمعان فرحاً واندهاشاً عندما رافقتها في جولة وخارج المسكن».

هزّ بيتر حاجبيه وابتسم وقال:

«يجب الاحتفال بتدشين المكان وإقامة حفل متى انتهت الأعمال في حوض

[illegible] الرأس ودعوة الأصدقاء... وأنت يا داليا،

[illegible]

[illegible] تتكلل دائماً بالنجاح».

[illegible] على خشب البيانو الأسود، وظهر نحول جسمها وبدا بيتر عملاقاً [illegible] شعرت أنها مسحورة أمام حيويته الغامضة. كانت على وشك [illegible] على وشك الانهيار... تحت نظرات عينيه الخضراوين ورموشها السوداء.

اقترح عليها أن تبقى لتناول طعام العشاء إذا لم تكن عمتها بانتظارها. [illegible] سيارته في طريقه إلى لندن.

[illegible] غاري قائلاً:

«[illegible] العشاء مع عازبين وحيدين».

غابت الشمس وراء الأفق وحلّ الليل فشعرت داليا بسحر يلفها. كانت غير قادرة أن تتصور أن عليها مغادرة المكان بعد قليل، فوافقت على البقاء ونزل الثلاثة إلى الطابق الأرضي.

تناولوا العشاء في غرفة الطعام واقترح بيتر احتساء القهوة في قاعة الاستقبال.

الستائر الحمراء كانت مقفلة وألسنة النار تتلاعب داخل المدفأة و داليا مسترخية على مقعد مريح، مغمضة العينين. فتحتهما عندما دخل الخادم حاملاً صينية فضة عليها أبريق القهوة والفناجين. سكب للجميع ثم انصرف وتساءلت داليا ما إذا كان بيتر غالباً ما يتذكر طفولته اليتيمة والفقيرة في ايرلندا.

وبعد القهوة، تقدم بيتر من داليا حاملاً بيده كأساً مليئة بالشراب وقدمها إليها، فهمست قائلة:

«شكراً، يا سيد شيريدان».

قال ساخراً:

«هل أنت خجولة. لماذا لا تناديني بأسمي الأول مثلاً. نحن صديقان، منذ وقت طويل».

«حسناً، سأدعوك... بيتر...»

«هذا ألطف بكثير».

ابتسم وجلس في مقعد قبالتها وأسند رأسه إلى مسند المقعد المخملي الأحمر وقال:

«عندما يصير في الامكان استعمال حوض السباحة، يجب أن تأتي لقضاء عطلة نهاية الأسبوع لتدشينه مع غاري. هل أنت عضوة في النادي الرياضي مثل هيلين».

أجابت مبتسمة:

«كلا، ولا حتى في الدائرة المسرحية. إني من النوع الذي يحب العزلة».

«آه...»

ألقى نظرة حالمة إلى غاري ثم طلب منه أن يعزف له مقطوعة على البيانو قبل أن يحين موعد عودته إلى لندن.

جلس غاري أمام البيانو وعزف القطعة التي ألفها وسماها: حورية الغاب.

وبينما كان غاري يعزف مقطوعته كانت داليا تتأمل بيتر الجالس قبالتها كان يدخن السيكار ويصغي بهدوء إلى اللحن الذي ينبع من بين أصابع العازف الموهوب، ولما توقفت الموسيقى، هز رأسه كأنه يؤكد لنفسه أن كل ما صرفه على غاري، قد وفاه هذا الأخير بالمئات.

قال بيتر:

«أحببت هذه المقطوعة كثيراً. هل وجدت لها عنواناً».

بينما قال له غاري العنوان، رأت داليا في عيني بيتر نوعاً من الريبة وهو ينظر إليها. تأمل قدميها النحيلتين نصف الممدودتين على المقعد العريض وشعرها القصير وأنفها المنمش. وارتجفت ابتسامة صغيرة على زاوية فمه ثم نهض وأعلن أن موعد عودته قد حان. مدّ يده إلى داليا وساعدها على الوقوف وقال:

«سأجلب الأوراق التي جئت من أجلها وسأوافيك إلى السيارة».

ذهب غاري ليجلب سترته من قاعة الموسيقى وأوصل داليا إلى سيارة بيتر التي كانت تلمع تحت ضوء القمر، وضع يده على خصرها في شكل حميم وسألها:

«هل تأتين معي نهار الأربعاء إلى حضور مسرحية».

«إذا تريد».

«أنت تعرفين أني أريدك معي دائماً».

انحنى غاري نحوها وأحست بقشعريرة تعبر جسمها ووجدت نفسها بين ذراعي غاري. تقلصت بعض الشيء إذ كانت تعرف أن بيتر سيطل في أي لحظة ويراها.

«غاري، أرجوك».

تفلتت داليا فضحك غاري وهو يشدها إليه وقال:

«إن بيتر يعرف تماماً ما يحدث بيننا، يا حبيبتي، وما عليك إلا أن تتوقفي عن الارتعاش مثل سمكة في شبكة الصياد».

صرخت داليا في جنون:

« بيتر يعرف... ماذا تقصد».

«لا شك أنه تخيل أن شيئاً ما يدور بيننا. ألم تلاحظي كيف يراقبنا في قاعة الاستقبال. أنا أعرف ذلك من ابتسامته وأعرف أنه سعيد لذلك».

فقالت داليا في صوت ساخر عندما حاول غاري أن يعانقها:

«لا تقضي الليل كله هكذا».

أفلتت داليا من بين ذراعي الرجل وحييته باختصار ودخلت إلى سيارة بيتر. وضع بيتر حقيبته في صندوق السيارة وجلس أمام المقود. وبعد دقائق كانت السيارة تجتاز الممر الطويل. وكان بيتر يقود في صمت وسرعة. وبعد أن قطع مسافة طويلة، قال:

«إني أحب هذه المنطقة من انكلترا. هنا، كما في أفريقيا، النجوم تبدو كأنها واقفة على رؤوس التلال».

لاحظت في صوته حنيناً وعرفت أنه يعتبر أفريقيا الجنوبية وطناً له. فسألته:

«هل تنوي البقاء مدة طويلة هنا في انكلترا».

«الوقت اللازم لاطلاق العمل الجديد. لكن مزاجي مضطرب وأفضل الطقس الأفريقي. كما أن مركز أعمالي هناك، ولا يجب على المدير أن يبقى متغيباً لوقت طويل».

ابتسمت وهي تتخيّل تماماً الافريقيين السود وهم ينادون بيتر سيدي المدير... إن في داخله أشياء مرعبة، لكنها كانت متأكدة أن العاملين لديه يحبونه كثيراً. فهو مثلهم، عمل ووصل إلى هذا المركز بعرق جبينه. إنه يعرف تماماً ماذا تعني الأيدي الخشنة والمناكب الأليمة.

سألها فجأة:

«ألست مستغربة لأني اخترت شراء منزل في انكلترا بدلاً من ايرلندا».

«لا... ليس تماماً... يا بيتر. ليس جميلاً أن يتذكر الانسان باستمرار طفولته البائسة».

«صحيح! إن فيللا بلفدير رائعة، أليس كذلك. إني أعشق المنازل ذات السقوف المصنوعة من القش».

«حدثني غاري عن منزلك في أفريقيا الجنوبية. لا شك أنه جميل ورائع».

وبينما كانت داليا تتحدث كانت تتصور ردة فعل هيلين متى علمت بأن بيتر ينوي العودة إلى أفريقيا. إن داليا تعرف أن مشاريع أختها أن تسافر إلى روما وتتمشى على شواطىء كورفو، وتسهر في النوادي الليلية في باريس...

لا بد أن يكون منزل بيتر في أفريقيا الجنوبية واقعاً في منطقة صحراوية فارغة، لأن ثروته الطائلة لم تفقده حبه الفطري للوحدة. وعليه أن يكون مغرماً حتى النهاية كي يقبل بالزواج من المرأة التي يحب... لكن من ناحية ثانية فالمرأة التي ستحبه كما يجب ستكون سعيدة بالخضوع له.

أوقف السيارة فجأة في أعلى جبال الداونز وراحا يتأملان معاً ضوء القمر ورقع التلال والنجوم العديدة المنتشرة في السماء.

قال:

«يشعر الواحد هنا بالتواضع... إلى درجة أنه ينسى هموم الحياة ويضع الجهد جانباً».

فوجئت داليا والتفتت به وفي العتمة خيّل إليها أن في فمه شيئاً مؤلماً ومتوسلاً... سألته:

«ألست حراً لتفعل ما تريده».

«لدي التزامات كثيرة، يا داليا. استلمت زمام جميع مؤسسات شيريدان ولا

أجرؤ على التخلي عن هذه المسؤولية. وليس هذا عائداً لغطرستي... إنما هذا هو مخططي وأنا مضطر أن أسير فيه».

«إنها مسألة عمل، وهذا ما يعاني منه الكثيرون، على ما أظن».

«نعم، في أفريقيا مشاكل عديدة. لكن فتاة مثلك لا يهمها أن تصغي إلى كل هذا».

نظر إليها وراح يتأملها ويقول:

«ذلك الثلج كان حظاً سعيداً لنا نحن الأثنين. أنت تعرفت إلى غاري وأنا إلى هيلين».

هزت رأسها وهو أقلع بالسيارة. ولما وصلا إلى منزل سميث، أوقف السيارة أمام الباب الحديدي وطلب من داليا أن تقول لهيلين أنه سيتصل بها من لندن. ولا تعرف لماذا، بعد أن ابتعدت السيارة، تهيأ لها أن بيتر ينوي طلب يد شقيقتها.

الأيام التالية كانت صعبة وقاسية في مركز الضمان الأجتماعي. كانت داليا تعمل كسكريتيرة المدير المسؤول عن مساعدة العجزة الذين يقطنون البلدة. وقد صدر عن المسؤولين تصميم جديد سيجعل سكان المنازل القديمة يهجرون منازلهم التي ستهدمها البلدية. واضطرت داليا أن تقوم بجولة على هذه المنازل برفقة رب عملها. وتأثرت كثيراً وهي ترى حزن هؤلاء العجزة عندما علموا بأن منازلهم ستهدم وسينقلون إلى شقق صغيرة في العاصمة.

هذه الشقق الصغيرة تحتوي على شرفات، لكنها من دون حدائق، ولا فسحات أمام المداخل حيث يمضون أوقاتهم في الأحاديث فيما بينهم، يتذكرون فيها أيام الشباب.

[illegible]

«[illegible] هل يجب فعلاً أن تهدم».

[illegible]

«[illegible] لا يجب أن تعرقل سير الأعمال بسبب عواطف بالية».

«[illegible] تعبر الإنسانية كلها».

[illegible] داليا قليلاً عن القلق وأضافت:

«[illegible] كل الجمال سيمحى من انكلترا ولن يبقى لدينا إلا الاسمنت. [illegible] الوضوح أن هؤلاء العجزة، إضافة إلى منازلهم، سيخسرون حيواناتهم، الأليفة التي لم يعد ممكناً أن تقطن في شقق صغيرة خالية من الحدائق. والسيدة [illegible] سيحطم قلبها إذا استغنت عن هرتها الرائعة. إنها هدية من ابنها [illegible] لها قبل أن يذهب إلى الحرب حيث سقط شهيداً».

«[illegible] هؤلاء العجزة أفضل المساكن الممكنة. هل قمت بزيارة الشقق، يا داليا؟ إنها صحية وعملية أكثر بكثير من هذه المنازل القديمة الأثرية».

«[illegible] المجلس البلدي أن يقوم بترميمها وتجديدها بدلاً من هدمها».

«أخشى أن تكوني فتاة حالمة يا آنسة سميث».

«أخشى ذلك أنا أيضاً».

وبعد مرور خمسة عشر يوماً قرر بيتر تدشين منزله الجديد بإقامة حفل وأوكل مهام تنظيمه إلى هيلين المتحمسة والمتهللة فرحاً. كانت قد تعرفت إلى بعض أصدقاء بيتر من طبقة رجال الأعمال ولائحة المدعوين طويلة ومثيرة، كما دعت عدداً كبيراً من الأصدقاء، لكنها لم تدع من عائلتها سوى عمتها وعمها و داليا.

اعترضت العمة سوزان على هذا الأمر واتهمت هيلين بالعجرفة

والتفاخر. فأجابت هيلين معترضة:

«أنا لست فتاة متفاخرة، لكن كما سبق ولفت انتباهك، إن بيتر يعاشر الناس الأثرياء، والأنيقين والمثقفين، ولذلك من المستحيل أن أدعوا العمة ميري وزوجها المسكين، إذ لا يمكنهما أن يندمجا في جو الحفلة. أنا لا أريد أن أشعر بالخجل تجاه أصدقاء ومعارف بيتر... هناك أمور كثيرة يجب أن أتداركها، ربما مستقبلي كله متعلق بالموضوع».

«إذا كان بيتر شيريدان يحبك يا ابنتي، فلن يؤثر ذلك على حبه ولو عائلتك تنتمي إلى الطبقة العاملة. هو أيضاً كان متواضعاً في بداية حياته».

أعلنت هيلين وهي تضع يدها على البروش الذي أهداه لها بيتر والذي يتناسق مع لون عينيها:

«إن ذكاء بيتر وطموحه ساعداه على الخروج من حالة البؤس هذه. أنت تعرفين كيف يتصرف عمي جيمس في السهرات ويبدأ بالحديث عن صراع الطبقات. إن اللورد بازيلي وزوجته على لائحة المدعوين ولن يكونا مسرورين إذا حدث هذا النوع من الحديث. أرجوك يا عمتي كوني واقعية!»

كانت داليا تلعب الورق مع عمها هاري، وراحا ينظران إلى بعضهما البعض في مرح عارفين أن هيلين ستكون الرابحة في النهاية.

ومساء الجمعة أقنعت هيلين أختها بأن تأتي معها لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في فيللا بلفدير. كانت تريد أن تكون حاضرة للسهر على جميع التفاصيل بمناسبة الحفل وأضافت تقول أنها لا تجرؤ أن تقول لعمتها أنها ستمضي الليلة وحدها برفقة رجلين عازبين.

جاء غاري وقاد الفتاتين إلى منزل بيتر وللحال رسمت هيلين ابتسامة مضيافة وراحت تلعب دور ربة البيت وتصطحب داليا إلى غرفة

[illegible]
[illegible] بتكوير الغرف. إنه لا يدري تماماً ما هي أهمية أن
[illegible]

[illegible] الأثاث البني اللون وحدائقه المغلقة بالفضة والسجاد [illegible] والستائر الطويلة الحريرية والنوافذ المطلة على الجبل. [illegible] الليلة برفقة بيتر حيث تأملت الجبل على ضوء القمر [illegible]

[illegible] يا هيلين».

[illegible] كي يبرز بوضوح. سأريك فستاني الجديد الذي سأرتديه [illegible] إنه من صنع باريس وهدية من بيتر طبعاً».

[illegible] ما زال في الحقيبة».

[illegible] في إخراجه وتعليقه قبل أن يتكرمش».

وخرجت هيلين من الغرفة، وهي تتصرف تماماً كربة المنزل.

٣ ـ وردة العازف؟

في صباح اليوم التالي ذهبت داليا برفقة غاري للقيام بنزهة على الرابية، وفي الهواء رائحة الأرض الرطبة. تسلقا التلة وهما يضحكان كأنهما يرتفعان نحو غيمة مخملية خضراء. فجأة شعرت داليا بحماس يشدها وراحت تركض إلى أن وقعت على العشب الأخضر. وظلّت على وجهها تضحك مثل ولد في سروالها الضيق وكنزتها السميكة.

ارتمى غاري قربها، فتمددا على ظهريهما يتأملان الغيوم الصغيرة المنثورة والمتحركة في السماء الزرقاء.

همس غاري قائلاً:

«إنها جنة عدن!»

ثم جلس وراح يتأمل الفتاة ويقول:

«أنت مثل الجنة يا داليا. هذا السلام وهذا السحر الغامض... هذا أنت يا داليا».

انحنى فوقها وراحت تنظر في عينيه الرماديتين وترى صورتها منعكسة في نظراته. ثم قالت بمرح:

«هذا المناخ النقي فتح شهيتي. سأتناول فطوراً ضخماً عندما نعود إلى الفيللا».

كان يحدّق بوجنتيها الورديتين وبفمها الممتلىء ويقول:

«هل تريدين أن أفشي لك بسر؟»

هزت رأسها وهي تشعر بنبضات قلب غاري العنيفة، فقال:

«لم يسبق لي أن قبلت فتاة ممددة على العشب».

في عيني غاري رغبة مؤلمة جعلت الفتاة تترك الأمور على حالها. لكنها تساءلت لماذا تتصرف بهذا الشكل من أجل بيتر الذي تصور أن عليّ إبعاد هذا الشاب الموهوب.

همس غاري في أذنيها:

«كم أنت مختلفة تماماً عن بقية النساء...»

«هل تعرف الكثير منهن؟»

«تعرفت إلى بعض الفتيات في أفريقيا، لكنني لم ألتق بواحدة مثلك لا يمكن احترامها برغم أنها تثيرني. داليا، ماذا تشعرين تجاهي؟»

«إني أحترمك يا غاري».

«أريد أكثر من ذلك... منك».

أزاح عن جبين داليا خصلة من شعرها ونظر في عمق إلى عينيها الواسعتين وقال:

«ألم يسبق لك أن وقعت في الغرام، يا داليا؟»

هزت رأسها وشعرت بنبضات قلبها السريعة. أرادت أن تنهض من مكانها وتهرب من هذه الأسئلة المحيرة. لم تكن ترغب التحدث عن الحب.

سألها في ابتسامة معاكسة:

«هل تخيفك فكرة الوقوع في الحب. لا يمكنك أن تظلي هكذا طيلة الحياة. وعليك أن تشاركي حياتك مع رجل آخر ذات يوم».

« غاري، لا تكن جدياً... ليس الآن».

«إني أنبهك فقط وأظهر لك عن صحة نواياي».

طبع على أنفها قبلة صغيرة ثم نهض وسحبها معه. تخلصت من قبضته وهي تضحك. ثم عادا إلى بلقدير راكضين.

ولما دخلا إلى المنزل وجدا هيلين وهي تتبادل حواراً ساخناً مع دونوفان، أحد خدم بيتر. كان قد أوقع تحفة ثمينة وكسرها و هيلين تصرخ به وهو غير مبال.

«أنت إنسان مهمل يا دونوفان».

أدار لها ظهره وخرج. ولما لمحت هيلين أختها قالت في صوت مرتفع:

«لا يمكنني أن أتحمل هذا الرجل الوقح. لا يعرف أن يفعل شيئاً. ولا أفهم لماذا يحتفظ به هنا».

قال لها غاري ويديه في جيوب سرواله:

« دونوفان أنقذ حياة بيتر في أفريقيا، منذ سنوات عديدة. كان بيتر يستعمل الديناميت لنسف الصخور في أملاكه. رماه الانفجار أرضاً ففقد وعيه. أسرع إليه دونوفان وأبعده عن المكان حيث انفجرت العبوة الثانية التي كادت أن تقتله. لذلك أنصحك يا هيلين ألاّ تخبري بيتر عن دونوفان».

قالت هيلين بجفاف:

«ينقصني نصائحك أنت أيضاً، يا أيها المتطفل!»

« هيلين!»

نظرت داليا إلى شقيقتها في برود واستخفاف. فهزّ غاري كتفيه وصعد إلى غرفة الموسيقى. قالت داليا في استغراب:

«إن ما قلته لغاري شيء مهين ولا يغتفر».

نظرت هيلين إلى أختها وإلى شعرها المشعث والعشب المعلق في كنزتها

وسروالها وقالت بسخرية:

«تبدين وكأنك تزحلقت على العشب برفقة غاري. لكني أنوي وضع حد نهائي لهذا الإفراط في السخاء لدى بيتر».

«أنت تفرطين أكثر من غيرك. وليس لديك عذر لذلك. أما غاري و دونوفان، فإنهما يحبانه».

«كيف تجرؤين على قول هذا الكلام».

انتفضت هيلين في غضب وأظافرها على وشك أن تمزق تنورتها الضيقة. فقالت داليا:

«ما أقول حقيقة. أنت لا تحبين إلاّ نفسك. ولا يهمك ما ألحقته بطوني من ألم. ولا تريدين بيتر إلاّ لأنه غني وبأمكانه أن يأخذك بعيداً عن لاوتسون. لقد سعيت إلى ذلك منذ اليوم الأول الذي تعرفت به إلى بيتر».

«صحيح. ماذا جرى لك يا داليا. هل أنت غيورة لأنه اختارني أنا. هل تحبينه بالسر يا داليا».

وبينما كان صوت هيلين يلعلع في البهو، رأت داليا باب مكتب بيتر ينفتح و بيتر يخرج منه.... لا شك أنه سمع آخر ما قالته هيلين. فأسرعت داليا تقول:

«أعتقد أنك تعرفين يا هيلين منذ مدة طويلة، إلى أين وصلت الأمور بيني وبين غاري».

وبسرعة البرق، صعدت داليا السلالم، إلى غرفتها وأغلقت الباب وراءها بسرعة وارتمت على السرير ترتجف، خائفة، كما حدث لها منذ أن نظرت إلى عيني بيتر، تحت الثلج.

إنها تحبه!

أومضت الحقيقة كالبرق اللاهب في رأسها... في قلبها... إنها تحب الرجل الذي يريد شقيقتها الجميلة. لكن الكذبة السافرة التي ارتجلتها لدى دخوله أفضل من الشفقة التي سيشعر بها تجاهها لو عرف أنها تحبه!

لم يسبق أن حقدت هيلين على داليا أو اضطربت عندما يحصل بينهما جدال أو مشاجرة. والموضوع الذي يتعلق بغاري والذي كان سبباً لاندلاع الغضب بين الفتاتين نسيته هيلين كلياً عندما صعدت إلى غرفة أختها قبل موعد الحفلة بقليل.

كانت هيلين ترتدي فستاناً من الحرير الأبيض المطرز، وقرنفلة تزين كتفها الأيسر، معلقة مثل عنكبوت ليلكي. وتسريحة شعرها بشكل كعكة تليق بها وتنسجم مع زيها تماماً. وكان فمها الوردي يبتسم امتناناً وعيناها تلمعان فرحاً مسبقاً. فقالت في استغراب:

«ألم ترتدي ملابس السهرة بعد؟»

كانت داليا تلبس جواربها الحريرية الناعمة. وكان وجهها شاحباً لكنها لم تكن حاقدة. وفي صدق حار امتدحت هيلين قائلة:

«قرنفلتك تعجبني. إنه رائعة وسرية!»

ابتسمت هيلين لصورتها في المرآة وقالت:

«إن صديقي الايرلندي يعرف أهوائي المترفة تماماً ولا يهمه إلا أن يشفي رغباتي. مهما كانت نظرتك للأمر، يا عزيزتي».

ووقع نظرها على علبة صغيرة موضوعة فوق منضدة الزينة. ففتحتها ووجدت داخلها زهرة وردية وقالت:

«إنها من غاري، أليس كذلك».

كانت داليا ترتدي فستانها الوردي فما أن انتهت حتى أجابت:

«لا شك أن غاري أحضرها عندما كنت آخذ حماماً ساخناً».

كانت داليا متأثرة كثيراً من تصرف غاري الذي جاء خفية إلى غرفتها ليفاجئها بهذه الوردة الرائعة.

«أين أضعها يا هيلين؟».

«هنا على ما أظن...»

تناولت هيلين الوردة وشكلتها قرب قلب داليا.

«سيفرح عندما يرى قلبك ينبض تحت وردته. أنا نادمة لما قلته عن غاري. كنت متوترة ومستاءة من دونوفان فتفوهت بكلمات من دون أن أفكر فيها... لم أكن أعرف أنك واقعة في غرامه. أنت كتومة فيما يتعلق بحقيقة مشاعرك، يا هرتي الصغيرة».

نظرت داليا في المرآة ورشت البودرة على أنفها وخديها وقالت:

«غاري إنسان شديد الحساسية وليس متطفلاً. إنه يعيش مع بيتر منذ صغره وهما كالاخوين... وبيتر ينشرح فرحاً كلما عزف غاري على البيانو».

صرخت هيلين ضاحكة:

«كفى! لن أجرؤ بعد الآن أن أنطق بكلمة واحدة ضد فتى أحلامك ذي العينين الزرقاوين».

«إن عينيه رماديتان».

«أنت إذن تنظرين في أعماق عينيه الغامضتين».

لم تتمكن داليا من الالتفات إلى أختها. فراحت تضع على عنقها عقداً صغيراً من المرجان انتشلته من بين يديها وقالت:

«لست بحاجة لارتداء هذا».

كانت عينا هيلين تتفحصان داليا، من قدميها حتى رأسها الصغير، وبدت مستغربة فجأة:

«إنك تتحولين إلى فتاة جميلة، يا أرنبتي الصغيرة».

ثم ضمت أختها وراحت تنظر إليها: إحداهن فاتنة وجذابة والاخرى غامضة مثل حورية الغاب.

قالت هيلين ضاحكة:

«القرنفلة والوردة!»

ضحكت ثم هبطتا معاً السلالم الكبيرة الحديدية في أناقتهما الفائقة. نهض بيتر عن مقعده وتقدم للقائهما. كان يشبه مصارعاً رومانياً في بدلة السهر، وشعره الأسود ورموش عينيه السوداوين، كلها تظهر جمال عينيه الخضراوين. كان يدخن السيكار ورائحته تدخل أنف داليا، وقلبها ينبض بسرعة جنونية لأنه كان ينظر إلى الوردة المشكوكة على صدرها.

قال ضاحكاً:

«أنتما رائعتان. ولي الشرف أن أستقبلكما في منزلي».

قالت هيلين:

«تتكلم مثل ملك على عرشه».

اقتربت منه حتى التصقت به لحظة ولامست كتفه، ثم أكملت طريقها إلى غرفة الطعام لتتأكد من أن الطاولة الفخمة تم تحضيرها حسب أوامرها. رائحة الزهور تعم المنزل والثريات الكريستال مضاءة والأثاث يلمع.

قال بيتر وهو يمسك داليا بيدها:

«أمامنا عشر دقائق قبل الاجتماع. تعالي احتسي شراباً في كهفي».

خافت بعض الشيء، ورفعت عينيها نحو السلالم وكادت تعتذر وتتذرع أنها

نسيت منديلها في الغرفة. لكن بيتر أسرع يقول ساخراً:

«لن يفر غاري من هنا. لكني أفهمك قليلاً. يرافق الحب أحياناً شعور بعدم الاستقرار والقلق. لا يشفيه سوى وجود الحبيب».

كان يبدو كأنه يسخر منها، وكأنه يعرف ان داليا لا تشعر بهذا الاحساس نحو غاري، حتى ولو كان غاري يشعر بذلك تجاهها.

تبعته داليا إلى مكتبه من دون وعي ورأته يفتح خزانة تحتوي على عدد هائل من الشراب والكؤوس.

طلبت كأساً من الشراب الحاد، ثم اقتربت من المدفأة وثوبها الحريري يصدر حفيفاً ناعماً كلما تحركت. تقدم منها بيتر وقدم لها الكأس المصنوعة من الكريستال السميك وبداخله الشراب مع الكثير من الثلج. وأشار إليها بيتر قائلاً:

«تذوقي هذا الشراب».

جرعت قليلاً منه وأعجبت بطعمه اللذيذ وسألته في ابتسامة:

«هل هذا من اختصاصك؟»

«نعم وأنه خاص بالفتيات الصغيرات مثلك».

«أنا لست بفتاة صغيرة! في ايلول / سبتمبر سيصبح عمري عشرين سنة».

قال ساخراً وهو يحتسي شرابه:

«إنه عمر مقبول. وأتصور أنك تحلمين بأن تصبحي يوماً مثل هيلين، امرأة متأنقة».

«الظاهر أنني أشبهها قليلاً».

ابتسمت داليا وهي تقلد هيلين. فلم يفرح بيتر بذلك. كانت عيناه باردتين مثل قطع الثلج في الكأس.

قال في قوة وغضب:

«لا تبدأي في تقليد هيلين. دعي نفسك تنضجين على طريقتك الخاصة. كوني أصيلة وليس نسخة».

احمرت وجنتاها متأثرة بكلامه اللاذع الذي يعني أنه ليس بامكانها أن تكون أبداً إنسانة رائعة، مثيرة مثل شقيقتها. فقالت بجفاف:

«كنت أمزح فقط. الفتاة الصغيرة ليس بإمكانها أن تتأكد من أي شيء، سوى من بلاهتها وخاصة إذا كانت متلهفة لأن يعاملها الغير كفتاة ناضجة».

ابتسم لهذا المنطق، فردت عليه بابتسامة بريئة. فقال في صوت مخملي ولهجة ايرلندية متناغمة:

«صدقيني يا داليا، أنا الرجل الذي عمره يضاعف عمرك. أقول لك أبقي شابة أطول مدة ممكنة، لأن المسؤوليات التي تطرأ على الانسان في سن الرشد تبقى معه أطول بكثير من سحب المراهقة».

«أحياناً ترافق السحاب غيوم يا بيتر».

«نعم، لكن الغيوم تنجلي وتعود الشمس إلى الشباب البريء، غير أنها لا يمكن أن تعود أبداً إلى الذين وصلوا إلى العجرفة والمفاخرة».

تفحصت داليا ملامحه القوية، القاسية، التي حددتها سنوات أمضاها في بناء امبراطورية تجارية ضخمة. لو تسنى له في شبابه أن يعيش قصة حب حالمة تختلف عن الحب الذي تقدمه إليه هيلين، لما كان بحاجة إلى هذا الحب اليوم.

وما أن لمحت داليا في عينيه الخضراوين بريقاً فضولياً حتى ابتعدت عنه وتوجهت نحو النافذة. الستائر ما تزال مفتوحة وفي عتمة المساء شاهدت سيارة تقترب ومصابيحها تسطع على المنزل. فقالت:

«بدأ المدعوون يتوافدون».

تقدم بيتر منها ووقف قربها. فتقلصت إذ شعرت بسيطرته عليها. اخترقت جسمها قشعريرة وبدأت تتمنى أن تشعر بذراعيه القويتين حولها، وأن يضمها إليه وأن يرغبها كما ترغبه.

همس قائلاً:

«لا شك أن بلفدير عرفت العديد من الحفلات في أيامها، وكان المدعوون يتوافدون في الممر والبذلات تلمع بأشرطتها الذهبية، مندمجة مع ساتان ومخمل الفساتين الطويلة الفاخرة».

وتخيلت داليا ضاحكة:

«والموسيقى تعزف رقصة الفالس والامهات الأسبانيات يجلسن في مجموعات ويلوحن بمراوحهن ويخططن لزواج بناتهن».

«بيتر».

انتفضت لصوت هيلين وابتعدت داليا بسرعة عن بيتر بينما كانت شقيقتها تدخل غاضبة وقالت وهي تتناول ذراع بيتر في تسلط واضح:

«وصل آل ونتون تعال نحتفي بهم».

السهرة كانت نجاحاً بارزاً لهيلين. لقد اختارت ودمجت المدعوين في فن وذوق رفيعين، كأنه لم تفعل إلا ذلك طيلة حياتها، ولا يمكن أن تنكر أنها تناسب بيتر ويشكلان ثنائياً رائعاً، كلاهما جريئان ويحبان رغد الحياة والرفاهية، ويمتلكان هذه الموهبة الغامضة التي تدعى الشخصية.

بعد العشاء، رقص الجميع على أنغام موسيقى الأوركسترا في قاعة الرقص الكبيرة المضاءة بالثريات الفضية والكريستال والمليئة بالمرايا على مختلف أنواعها، وتحت القناطر المكللة بالأزهار.

كانت ذقن غاري تستند إلى شعر داليا الناعم وهما يرقصان التانغو

وهمس في أذنيها قائلاً:

«إنها فكرة رائعة أن تضعي هذه الوردة على الفستان الوردي».

انقبض قلب داليا. كانت تعتقد أنها هدية من غاري، لكنها تذكرت كيف كان بيتر ينظر إليها عندما هبطت السلالم برفقة هيلين. فقد أهدى قرنفلة إلى هيلين وأصرّ أن تضع أختها زهرة أيضاً.

نظرت حول غرفة الرقص حتى رأته، انه أطول الرجال الحاضرين، يضحك مع هيلين و آل ولتون، أعز أصدقائه.

كانت شخصيته في ذلك المساء وقحة وجريئة ومغامرة ومتهاونة وغير مكترثة. وهذا كان واضحاً في ضحكته. وبعد قليل كانت داليا بين ذراعيه في رقصة حالمة. كان في أناقة غريبة واحتضانه لها كان جنة وجحيماً في الوقت نفسه. كان يبدو لها كأنها انتظرت كل العمر لمعانقتها بيتر شيريدان. ولما انتهت الرقصة، قامت بجهد كبير لتقاوم الالم الناتج عن ابتعاده عنها. فقال:

«شكراً، يا هرتي الصغيرة».

تقلصت حتى الابتسام وهي تقوم بانحناءة ساخرة.

وحوالى منتصف الليل، تضاءل عدد المدعوين وراحت السيارات تبتعد وأوراق الزهر تتطاير في أرض قاعة الرقص، عندما اجتازتها داليا و غاري بهدوء وهما يتحدثان عن السهرة.

قال غاري وهو يداعب الزهرة على صدر داليا:

«لقد سحقت زهرتك. لا شك أن ذلك حدث خلال الرقصة معي».

هزّت داليا رأسها، لكنها كانت تعرف أن الزهرة انسحقت بين ذراعي بيتر لأنها وضعت يدها عليها بعد انتهاء الرقص ولاحظت أن جذعها انكسر.

قال غاري:

إنها سهرة ناجحة. الناس جميعاً اعجبوا بجمال وأناقة شقيقتك، وكلهم يعتقدون أنها ستكون الزوجة المثالية لبيتر».

ولما وصلا إلى البهو كان بيتر و هيلين على المدخل يودعان المدعوين، عندما اقنعا آل ولتون بالبقاء والنوم في بلفدير. وفي اليوم التالي، نهار الأحد، كان النهار مشمساً وتم تدشين حوض السباحة. هيلين كانت تشعر أنها وسط بيتها وفي ارتياح تام مع أصدقاء بيتر، كانت تتسابق معه في حوض السباحة الأخضر وتعرّض جسمها لأشعة الشمس وهي مستلقية على كرسي الشمس.

وداليا جالسة على مقعد من القش تتصفح مجلة وتتأمل بيتر من دون معرفته بالأمر، من وراء نظارتيها السوداوين. كان ممدداً على طرف الحوض وفي شعره الأسود السميك تتقطر المياه وفي يده كأس. كان يتحدث مع سامي ولتون ويتذكران معاً النزهات الدغلية التي كانا ينظمانها في افريقيا، حيث كان سامي وزوجته يملكان مزرعة أمضيا فيها عدة سنوات. ولاحظت داليا أن هيلين تمل من هذه القصص الأفريقية.

فجأة، رأت أختها تمد نحو بيتر قدمها وتركله على ركبته. وهذه الحركة كانت كأنها تريد أن تقول: لقد نسيت وجودي. أنا ما أزال هنا!

غمز عينيه ونظر إليها وتقلصت أصابع داليا على المجلة حين رأته يبتسم. كانت عيناه تحدقان في جسم هيلين كأنه يريد أن يقول: «أنا لم أغفلك، يا ساحرتي الرائعة. كيف بأمكان ذلك أن يحصل».

تمدد غاري على مقعده القريب من مقعد داليا واقترح عليها قائلاً:

«ما رأيك بنزهة في السيارة بعد ظهر اليوم».

«إنها فكرة جيدة».

ابتسمت له داليا راغبة في شوق أن تغادر بلفدير.. أن تهرب...

ولما غادرا بعد الغداء للنزهة، حملت داليا حقيبة ملابسها ووضعتها في السيارة. إذ قررت ألا تعود إلى بلقدير للعشاء.

«هل تسليت كما يجب، يا داليا الحورية».

كان بيتر على المدخل، طويلاً وغير مبال، يرتدي قميصاً مفتوحة على صدره الأسمر ويداه في جيبي سرواله القطني.

أكدت له قائلة:

«تماماً. شكراً على دعوتك لي».

«أنت دائماً مدعوة إلى بلقدير يا داليا. هذا منزل غاري كما هو منزلي».

رفع يده عندما أقلعت السيارة وضغطت على نفسها فلم تلتفت لتتأمل شبحه الطويل مرة أخرى. اتجهت السيارة بسرعة إلى الممر ودخلت الطريق العام.

قال غاري:

«أخيراً نحن وحيدين. هل أنت سعيدة مثلي».

وافقته... فكيف بإمكانها أن تجرح شعوره.

قالت ويداها مشدودتان فوق ركبتيها:

«نعم. جميل أن نكون وحيدين».

سألها غاري:

«إني أراهن بأننا سنسمع قريباً بخطبة بيتر و هيلين. هل تحبين أن يكون بيتر صهرك؟»

انغرزت أصابع داليا في كفيها وقالت:

«طبعاً».

«كاذبة! كان صوتها الداخلي يقول: «تريدين بيتر لك... نعم لك!»

لم تكن تفهم لماذا، لأنه يرعبها قليلاً بقسارته وفي الوقت نفسه يذوبها

بتصرفاته الحنونة والخاطفة. إنه يكبرها بسنوات عديدة، وهو رجل عاش تجارب كثيرة ويعرف العالم ويشعر بانجذاب نحو هيلين. ومع ذلك لم تكن هيلين تشك لحظة واحدة في صحة عواطفها.

إنها تحب الرجل الذي أهدى، بعد أسبوع فقط خاتم الخطبة إلى اختها، خاتماً من الزمرد اللامع كالنجوم في السماء الصافية.

٤ - أختي وصيفتي

كانت داليا نائمة عندما أضيئت غرفتها فجأة. فاستيقظت من حلم، من كابوس. كانت ضائعة في العاصفة... الرعد والبرق والمطر... كانت وجنتاها مبللتين بالدمع فجففتها بسرعة بطرف يدها عندما رأت هيلين جالسة على طرف السرير. إنها أجمل من كل الأيام، بشعرها المرفوع ككعكة وعينيها البراقتين الرائعتين.

«هل يعجبك».

وضعت هيلين يدها تحت أنف داليا التي لم تستيقظ بعد تماماً. فتمتمت قائلة:

«ماذا! من؟».

قالت هيلين وهي تحرك أصابع يدها:

«خاتمي، يا حمقاء! إنه ضخم بما فيه الكفاية ويمكنك أن تريه جيداً. قدمه لي بيتر مساء اليوم».

انتفضت داليا وجلست في سريرها تتأمل الخاتم. نعم،إنه خاتم ضخم زمردة كبيرة محاطة بحجارة صغيرة من الماس. إنها نار خضراء وبيضاء، في يد هيلين النحيلة.

«لقد حصلت عليه! هنئيني، يا هرتي».

داليا تعرف جيداً أن هذه اللحظة ستحصل، لكن كلمات التهنئة ظلّت مسدودة داخل حنجرتها. فتوترت هيلين من ردة فعل داليا أمام هذا الخاتم الرائع الذي يخطبها إلى بيتر شيريدان... الرجل الثري، القطب الغامض، هذا المليونير ذو القناع المخيف، الذي انجذبت إليه معظم النساء، لكنهن لم يحصلن عليه. أما هيلين، فقد تمكنت من أسره وتشعر الآن بانتصار كبير.

تمسكت هيلين بكتفي داليا النحيلتين وهزتها قائلة:

«استيقظي يا داليا! قولي شيئاً ما، حتى ولو اضطررت إلى القول: يا أختي المسكينة!.. أني أعرف جيداً أن ذلك ما تفكرين فيه!».

«لا... كلا...»

«إذن لماذا تبدين مصدومة بهذا الشكل».

كانت هيلين تضحك لكنّ عينيها أصبحتا فجأة جدّيتين. فانتبهت داليا لهذا الأمر وقامت بجهد لتتمالك نفسها وقالت:

«طبعاً أنا سعيدة من أجلك، يا هيلين. اهنئك».

قالت هيلين ساخرة:

«هذا كلام فتاة صغيرة مطيعة. أصبحت أسوأ من العمة سوزان. إنها تعتبر بيتر رجلاً من حديد، الصاعقة والرعد تحت جلده، بدلاً من اللحم والدم. والآن دعيني أرى كيف تبدين وهذا الخاتم في أصبعك».

هذا الاقتراح أرعب داليا التي رجعت إلى الوراء، واستندت إلى الوسائد وقالت:

«لا...أرجوك...»

«لا تكوني حمقاء!»

تناولت هيلين يد داليا بالقوة ووضعت الخاتم في البنصر. ثم راحت

تتأمل يد شقيقتها الباردة. وشرعت تضحك بفرح وتقول:

«يبدو الخاتم مضحكاً في يدك، يا طفلتي».

بدا الخاتم ثقيلاً وخشناً على يد داليا النحيلة ذات الأصابع الناعمة والأظافر القصيرة غير المطلية. وشعرت بارتياح عندما سحبته هيلين من أصبعها لأن وزنه وقيمته ترعبانها. ووضعته هيلين من جديد في أصبعها وهي تبتسم من الأكتفاء وليس من الحب. وفي قلبها قليل من الحب لبيتر كرجل.

وفي لهجة مؤلمة سألتها داليا:

«هل رأيت طوني في هذه الأيام الأخيرة؟»

لم يبد على هيلين أنها فوجئت أو حزنت لهذا السؤال، فأجابت ببرود:

«لا. لم أر أحداً من أصدقائي، منذ مدة طويلة».

قلبت داليا شرشف السرير في حركة مضطربة وقالت:

«شاهدته مساء أمس. ووجدته... حزيناً...»

رفعت هيلين في بطء عينيها عن خاتمها وقطبت حاجبيها قليلاً وسمعت ما أضافته داليا:

«ذهبت مع غاري إلى السينما والتقينا بطوني في المدخل، وتحدثنا قليلاً».

رفعت داليا رأسها تنظر إلى شقيقتها التي تشجعت وقالت:

«لا تخدعي نفسك يا هيلين. لا تتزوجي بيتر إذا... إذا كنت تحبين طوني فعلاً».

لمع الغضب في عيني هيلين وقالت:

«أنت إنسانة وقحة!»

مدت داليا ذراعها في حركة متوسلة كأنها تريد تفادي ضربة وقالت:

«هيلين... أنا أعرفك جيداً، وأعرف حقيقة عواطفك تجاه طوني».

«يا للغباء! أنا أحب طوني كصديق فقط لا غير، و بيتر هو الرجل الذي أريد أن أتزوجه».

قالت داليا بمرارة:

«أنت تبيعين نفسك وهو يشتري».

هذه المرة انتفضت هيلين، لا أمام حقيقة واضحة، بل لأنها للمرة الأولى تسمع أختها تعبر بهذه الطريقة.

«وماذا تعرفين بعد. إن الرجل الوحيد الذي تعرفت إليه وأحببته هو غاري كونواي، والآن تتكلمين كأنك على معرفة بكل شيء من أمور الحياة. هل دربك غاري على الحب؟»

انتفضت داليا للهجة هيلين القاسية وشعرت بألم وحزن. فنهضت هيلين وتوجهت إلى منضدة الزينة وخلعت من أذنيها زوجي أقراط أهداها أيضاً بيتر إليها. وسألت داليا بلا مبالاة:

«وماذا أخبرك طوني؟ هل سألك عني؟»

«سألني عن أحوالك».

«وقلت له انني في أحسن حال؟»

«قلت له ما يشبه ذلك».

«وإني أرى بيتر في صورة مستمرة؟»

«كلا... لم نتكلم عن بيتر».

«ولم لا؟ بيتر هو أهم مواضيع الأحاديث المتداولة هنا في لاوتون منذ ثمانية أسابيع. لا تقولي انك لم تتحدثي عن بيتر مع طوني و غاري! و... ربما كانت ترافق طوني فتاة ما».

«كلا. كان طوني وحده».

«ليس طوني سوى رجل غبي، عاطفي... نعم، يا داليا، يعتقد أنه في إمكاننا العيش من الحب والماء المنعشة، في كوخ صغير وأنا أرتدي مريولاً وأسلق البيض وعيني على طفلي في الحديقة الصغيرة. يا إلهي، إنني أضجر من حياة كهذه أختنق! أريد غرفاً واسعة وأثاثاً فخماً. تباً للحب المفلس! آه، أرجوك، لا تظهري حزينة يا داليا. بيتر يعرف تماماً ماذا يشتري. كان يجب عليك أن تسمعيه يضحك على كل هذه التفاهات المنشورة في الصحف حول قصتنا! إن بيتر ليس بإنسان غبي ولم يعاملني أبداً مثل سندريللا».

سألتها داليا في صوت حزين:

«ومتى تنويان الزواج؟ هل حددتما موعداً لذلك؟»

«لقد فكرنا أنه من الأفضل أن يتم الزواج في أواخر شهر تموز / يوليو وستكونين إحدى وصيفاتي».

تقلّصت يدا داليا تحت الغطاء وشحب وجهها وتساءلت:

«هل تصرين على أن أكون وصيفتك؟ أنت تعرفين أني أكره إرتداء الملابس الفاخرة».

التفتت هيلين إلى أختها وراحت تتأملها وتقول:

«أنت اليوم الفتاة الصغيرة التي لا تريد أن تقول نعم لأي شيء! ستكونين وصيفتي الأولى ولقد قررت أن ترتدي فستاناً من الحرير الأصفر. هكذا ستبدين متحفظة ومؤثرة وشجية في الوقت نفسه».

ابتسمت هيلين وقالت:

«وحين يراك غاري في هذا اللباس، سيسرع في طلب يدك الخجولة».

«غاري وأنا، صديقان فقط لا غير... صديقان عزيزان».

«كفى، يا حبيبتي، لست ممثلة أصيلة واضح وجلي أن غاري يعجبك. ولا

عليك أن تجدي أفضل منه في هذا المكان المنزوي. فكري قليلاً يا داليا، الأختان سميث اليتيمتان، اللتان أصبحتا فجأة، ثريتين، لا يهمها العالم كله أبداً في أي حال. وأنت بإمكانك أن تصبحي مثلي. غاري شاب موهوب وفي المستقبل سيربح أموالاً طائلة بعزفه وتأليفه».

بدأت هيلين تسرّح شعرها وفي أصبعها خاتم الخطبة.

«تريد شهر عسل في مكان غريب وساحر وفاخر، حيث يؤمه العالم الفني والأنيق».

«هيلين...»

«نعم، يا حبيبتي!... هل تشعرين بارتياح وتحسن إذا صرحت لك إنني أعتبر خطيبي رجلاً جذاباً؟ النساء ينظرن إليه كلما خرجنا معاً وأرى في ذلك إثارة كبيرة».

أسندت داليا رأسها من جديد على وسائد السرير، وقلبها حزين. بيتر المدير العام لمؤسسة شيريدان العالمية، الدماغ، المقتدر، المخيلة وراء كل هذه الأعمال. لكن هيلين لم تكتشف أن فيه الصبي الصغير، الصبي الوحيد الذي في حاجة أن يحبه الآخرون من أجله، وليس من أجل شكله وماله.

«داليا... أعتقد أنني نجحت في شيء لم أكن متصورة كلياً أنه سيحدث... هل تعرفين ما هو؟»

بدت هيلين في اكتفاء كهرة سرقت قطعة جبنة. وداليا ترغب في أن تخلو لنفسها أو تموت بدلاً من مواجهة تعبير وجه شقيقتها التي قالت:

«إنه واقع في غرامي، بجنون. رأيت ذلك في عينيه، هذا المساء عندما أهداني خاتم الخطبة. قال لي إني أبدو فتاة صغيرة، بخديّ الورديتين والنجوم في عيني... نظر إليّ... كأنه غير مصدق إني إنسانة حقيقية... داليا، لم يسبق أن رأيت بيتر

هكذا، وفهمت أنه متأثر بعد أن طلب يدي ووافقت على الزواج منه».

نهار السبت، بعد أسبوع من خطبة هيلين و بيتر، قررت داليا الذهاب في الصباح لزيارة روزي بارات، ثم تأخذ الباص وتذهب إلى مدينة ردفورد حيث تشتري هدية الخطبة لأختها.

وروزي واحدة من العجزة الذين ستهدم منازلهم، وتعرف داليا أن روزي مضطربة ومتوترة لما سيحل بها. منذ وفاة ابنها الجندي في الحرب، أصبحت وحيدة على هذه الأرض. إنها امرأة شجاعة، قصيرة القامة، عملت كخادمة تنظف المكاتب، إلى أن أصيبت بداء الروماتيزم الذي أقعدها في البيت. كانت قبل ذلك تعمل بصورة دائمة في شركة الضمان التي يديرها العم هنري.

كان العجوز سام كارستير يصلح الباب الحديدي لمدخله فتوقفت داليا تتبادل معه الحديث حول الورد وأزرار الورد، ثم قدم لها وردة علقتها على صدرها، فقال سام:

«سارة وأنا، لسنا حاقدين عليك يا آنسة داليا، لما يفعله بنا رجال البلدية».

همست داليا وهي تضع في جيب معطف العجوز بعض المال ثمناً لتبغه:

«أعرف ذلك يا سام، جئت لأرى السيدة بارات، إنها مسكينة ولا تعرف ماذا ستفعل بهرتها عندما ستنتقل إلى الشقة الجديدة. اقترحت عليها أن آخذ الهرة إلى منزلي لكن روزي تخاف أن تحزن هناك وتحاول الهرب عندما ترى نفسها بعيدة عنها».

«آه نعم، إنها متأثرة جداً. من المؤسف أن يصار إلى طردنا من هنا وفوق ذلك تشريد الحيوانات التي كانت تعيش معنا منذ سنين عديدة... لقد سمعت أحدهم يقول، إن بإمكان البلدية أن تشتري أملاكاً أخرى شرط أن تدفع مالاً أكثر، وبذلك يصبح ممكنا لمنازلنا أن تظل مكانها. هل هذا صحيح؟»

«نعم، لكن البلدية غير مستعدة أن تدفع ثمن الأرض المعروضة للبيع. وبما أن هذه المنازل ملك البلدية وقديمة العهد، فقد اعتبرت ضرورية».

قال العجوز سام بحزن:

«كما يعتبروننا نحن الذين نعيش في هذه المنازل، لا نفع لأي شيء، ويريدون أن يزربونا في علب بطريقة أو بأخرى».

«تشجع يا سام، لم ينته شيء بعد حتى الآن».

قال وهو يستعيد ابتسامته وعينه على أزرار الورد:

«أنت على حق. عندما يتأمل الواحد الورد يعرف أن العجائب ممكنة».

ظلت الكلمات تطن في رأس داليا بينما كانت تجتاز الطريق المؤدي إلى بيت روزي. رائحة الورد قوية توحي بذكريات وردة سحقتها ذراع تملكها الآن شقيقتها هيلين.

كانت داليا تعشق طعام روزي ومطبخها الأنيق والكراسي المطلية بالأبيض والستائر التي تغلف النوافذ الصغيرة ورائحة الشاي التي تعبق من فرن روزي الصاخب. كانت الهرة نائمة بين آنية الزهر.

قالت المرأة العجوز وهي تحضر لداليا فنجان شاي وبعض قطع البسكوت والحلوى:

«إن جريدة اليوم لا تتحدث إلا عن خطبة هيلين. كيف تلقت عمتك سوزان الخبر؟ أعرف أن هذا الايرلندي لا يعجبها».

«كانت عمتي دائماً تتمنى أن تتزوج هيلين من أبن الدكتور غريغ لكنها ستتعود على بيتر شيريدان وتخضع للأمر الواقع... لقد قدم لهيلين خاتماً من الزمرد والماس، خاتم خطبة من الطراز الفاخر والضخم».

قالت روزي بحدة:

«يبدو أن هيلين فرحة بالأمر. هل تحدد موعد الزواج؟»

«في أواخر تموز / يوليو».

«وأنت، هل أنت فرحة لهذه الخطبة؟»

قدمت لها روزي فنجان شاي وعندما تناولته داليا من يدها، اندلق قسم من محتواه على الصحن. وانتبهت روزي لارتجاف يدي داليا، فقالت:

«يا إلهي، يا ابنتي، لا تقولي انك تحبين الرجل!»

«أنا... أنه يعجبني كثيراً، وهذا شيء طبيعي».

«أنا أعرفك يا داليا من زمان، ويمكنني أن أرى جيداً أن شيئاً ما يوتر أعصابك. ماذا جرى؟ هل تحبين الرجل وهل تعتقدين أن شقيقتك تتزوجه من أجل المال؟»

«إنه يحب هيلين...»

«وهي لا تحب إلاّ نفسها. آه، نعم، أفهم، يا داليا. عشت في هذا العالم سنوات طويلة وتعلمت أن أفهم الناس. إنه شاب وسيم، أليس كذلك. وهذا ما يتمتع به معظم الايرلنديين خاصة عيناه الخضراوان الجميلتان».

أجابت داليا مبتسمة:

«إنه إنسان نشيط ويتصرف بالحاح، كأنما الحياة بالنسبة إليه عملية كبيرة وهو الجراح الأول».

«هه. هه. يبدو لي رجلاً متسلطاً ولا يمكنني أن أتصوّر هيلين تسمح له بأن يسيطر عليها. إنها من نوع النساء اللواتي يردن أن يهيمن على الأسرة ويتصرفن كالزوجات الأمرات».

قهقهت داليا في صوت عال، وأكدت لروزي أن بيتر هو آخر من يريد أن تكون زوجته هي الآمرة في الأسرة.

قالت المرأة العجوز وهي تضع قطعة من الجبنة على البسكوت:

«الآن عندما ضحكت، رأيت فيك من جديد صديقتي العزيزة. هل تريدين قطعة جبنة يا صغيرتي؟»

«أفضل قطعة الحلوى المتربعة بأناقة على هذا الصحن الفضي».

تناولت داليا قطعة الحلوى وأكلتها في شهية وهي تقول:

«م. م. م. لذيذة».

«إن فرني القديم الذي يعمل على الحطب يحضر أطيب الحلويات في العالم، ولا أعرف كيف سيكون بامكاني الأستغناء عنه».

ذهبت روزي ورأتها داليا تتأمل في حزن أثاث مطبخها الدافئ والمضياف...الأواني الملمعة والصحون والفناجين النظيفة ومكان الهرة حيث تنام في المساء، والمدفأة التي تعلوها صور أبنها الجندي الشهيد...

«لا يجدي شيئاً أن أقلق وأشغل بالي، لكني كنت دائماً أفكر في إنهاء أيامي في هذا المنزل الذي دخلت إليه عندما كنت عروساً شابة...وعلى فكرة، هل ستكونين وصيفة هيلين؟»

«نعم، سأكون وصيفتها الأولى، وهناك ست وصيفات غيري. والآن سأذهب إلى ردفورد لابتاع لها هدية الخطبة».

وبعد ساعة كانت داليا تجتاز الطريق الرئيسي في مدينة ردفورد، متوجهة إلى محل الزجاجيات والخزف حيث تأمل أن تجد هناك شيئاً يعجب شقيقتها. ليس من السهل اختيار هدية تعجب هيلين. فهي لا تعرف أن تقدر مثل داليا الأشياء النادرة والجميلة وتفضل الأشياء الأنيقة التي تلفت النظر والباهظة الثمن.

وراحت داليا تتفحص الأنية الخاصة بالزينة والتحف الغريبة، فوقع نظرها

على طائر من الزجاج الأزرق الشفاف، منقاره انغمس في ريش جناحه الأيسر. هل تحب هيلين هذه التحف أم تفضل آنية الزينة المصنوعة من الزجاج العنبري والفضة؟

فجأة انتفضت عندما سمعت صوتاً محلياً يسأل وراءها:

«لست قادرة أن تختاري اللعبة التي تريدين شراءها؟»

بدأ قلب داليا ينبض بسرعة واستدارت وانخطف صوتها وهي تنظر إلى خطيب أختها. أخيراً قالت:

«هذا أنت يا بيترا إني أبحث عن هدية لهيلين، هدية الخطبة. أنا سعيدة جداً لهيلين ولك. أهنئك».

قال مبتسماً وساخراً:

«شكراً يا داليا».

ثم أشار بيده إلى سيارته المتوقفة على جانب الطريق حيث يحظّر الوقوف وقال:

«إذا تأخرت سآخذ مخالفة. عجّلي في اختيار هديتك ثم آخذك إلى الغداء».

«آه... حسناً».

ترددت في اختيارها فقال بيتر:

«أنت غير قادرة على أن تزيحي نظرك عن هذا الطائر، أليس كذلك؟»

شعرت بيد بيتر على خصرها وبنعومة سترته المصنوعة من قماش الكشمير. قلبها ينبض فرحاً مؤلماً. إنها سعيدة وهي قربه، هو الرجل الطويل، الغامض المرعب والمحبوب.

«إنها تحفة جميلة. لكني لا أعتقد أنها ستعجب ذوق هيلين. ألا تعتقد أنها تفضل آنية الزينة العنبرية والفضية، يا بيتر؟»

«من دون شك. وبما أني لا أريد أن يملك أحد غيرك هذا الطائر الأزرق الجميل، سأبتاعه لك».

احتجت قائلة:

«لا يمكنني أن أقبل ذلك».

أجاب ساخراً:

«كيف، ألا يحق لي أن أقدم لعبة لأخت خطيبتي؟»

طلب من البائعة أن تخرج العصفور من وراء الزجاج ولما وضعته على طاولة البيع بدأ يلمع كأنه عصفور حي. واضطرت داليا أن توافق على قبول هدية بيتر هذه.

وبعد دقائق خرجا من المحل ووضع بيتر الهديتين في المقعد الخلفي وساعد داليا على الصعود قربه. ثم أقلع وأخذ الطريق الخارجة من مدينة ردفورد ثم أعلن قائلاً:

«مللت المطاعم الفاخرة. اقترح أن نتناول الغداء في حانة لطيفة أعرفها وسط القرية. ما رأيك؟»

«آه، نعم. إني أحب هذه الحانات الريفية وجسورها الناتئة والناس التي تؤمها».

نظر إليها نظرة حنان وقال:

«كم أنت مختلفة عن هيلين، وخاصة في طريقة تصرفاتكما. أنت تحبين الأشياء البسيطة بينما هيلين لا تتذوق سوى ما يكون على الموضة والثمين والفاخر».

همست داليا تقول:

«أتريد أن تقول إني فتاة ساذجة وبسيطة؟ ألا يمكن لهيلين أن تبتهج لعصفور من زجاج؟»

قال ضاحكاً:

«نعم... ما رأيك في خاتم الخطبة؟ لقد طلبت تصميمه خصيصاً لها».

«إنه رائع!»

نظرت داليا إليه وفهمت من تدويرة فمه الساخرة أنه يبدو مبتهجاً وغير مخدوع. إنه فرح لأنه قدم هيلين زمردة ضخمة محاطة بحبات الماس اللماعة، ومسرور أيضاً لأنه أهدى داليا عصفوراً من زجاج.

وبعد قليل وصلا إلى قرية صغيرة. فخفف بيتر من سرعة السيارة وهو يدخل الشوارع الضيقة بين المنازل القديمة، مروراً بسوق قديم وفي آخره أوقف السيارة في ساحة الحانة. كانت نوافذ الحانة صغيرة وأمامها شجرة جوز قديمة وضخمة تبسط أغصانها فوق الساحة.

سأل بيتر داليا وهو يمد لها يده ليساعدها على الهبوط من السيارة:

«هل أنت جائعة؟»

«نعم، كثيراً».

الهواء النقي فتح شهيتها، فنظرت حولها في اهتمام عندما دخلا إلى قاعة الحانة المبنية من جسور السنديان. جلسا أمام طاولة قرب النافذة. طلب بيتر كأس شراب لداليا وقهوة له. ثم تصفحا لائحة الطعام. كانت داليا تعي ملامسته لكتفيها، وتشم رائحة العطر الذي يستعمله بيتر، فابتسمت عندما نظر إليها بعينيه الخضراوين وهو يحدق بها. خيل إليها أنه لا يجب أن تغرق في بحر شاسع، فأدارت وجهها تنظر من خلال النافذة وتقول:

«لا شك أن هذه السنديانة قديمة جداً، من أيام الأستعمار. أنظر إلى أغصانها الواسعة، ومن السهل أن يتسلقها الانسان».

«هل كنت تتسلقين الشجر عندما كنت صغيرة؟»

أجابت في حنين:

«آه، نعم. كان لطوني غريغ كلبة تدعى لولي، وفي إحدى المرات طاردت هرة حتى أعلى الشجرة، في حديقة منزلنا. فتسلقت الشجرة لانقذها، لكن تعثرت قدماي، ومن ثم ندمت وأقلعت عن تسلق الشجر».

«هل تريدين أن تقولي أنك سقطت عن الشجرة؟»

«نعم، وأصبت بألم في ظهري».

«هل تتذكرين اليوم الذي سقطت فيه أمام عجلات سيارتي؟»

«كان الثلج ينهمر وكنت تقود بسرعة! لقد أرعبتني يومها!»

رفع حاجبه وقال:

«هل ما أزال أرعبك، يا داليا؟ هل أنت نادمة لكوني سأصبح صهرك؟»

توقف قلب داليا عن الخفقان ثم عاد ينبض بسرعة فقالت:

«ماذا... ماذا تقصد؟»

«ألا تفضلين طوني غريغ، مثلاً؟ لا تفتحي عينيك هكذا. ماذا جرى؟ لدي أذنان صاغيتان ومنذ أسابيع علمت أن طوني غريغ كان صديق هيلين وليس صديقك. وأنني هزمته في آخر لحظة».

راحت داليا تقول:

«أنت رجل وقح، يا بيتر. لماذ يجب أن تبدو إنساناً قاسياً وعديم الاحساس أكثر مما أنت عليه حقيقة؟»

همس وهو يضحك:

«هس، يا فتاتي الصغيرة، هذا سر لا يعرفه أحد... أن أكون عاطفياً. الجميع شعر بصدمة عندما استسلمت للزواج، لكن معظم الناس ينتهون هكذا... ربما بسبب الوحدة وليس بسبب الرغبة. الرجل يعرف كيف يتعامل مع الرغبة.. لكن الوحدة شيء آخر...»

«نعم... ما رأيك في خاتم الخطبة؟ لقد طلبت تصميمه خصيصاً لها».

«إنه رائع!»

نظرت داليا إليه وفهمت من تدويرة فمه الساخرة أنه يبدو مبتهجاً وغير مخدوع. إنه فرح لأنه قدم لهيلين زمردة ضخمة محاطة بحبات الماس اللماعة، ومسرور أيضاً لأنه أهدى داليا عصفوراً من زجاج.

وبعد قليل وصلا إلى قرية صغيرة، فخفف بيتر من سرعة السيارة وهو يدخل الشوارع الضيقة بين المنازل القديمة، مروراً بسوق قديم وفي آخره أوقف السيارة في ساحة الحانة. كانت نوافذ الحانة صغيرة وأمامها شجرة جوز قديمة وضخمة تبسط أغصانها فوق الساحة.

سأل بيتر داليا وهو يمد لها يده ليساعدها على الهبوط من السيارة.

«هل أنت جائعة؟»

«نعم، كثيراً».

الهواء النقي فتح شهيتها، فنظرت حولها في اهتمام عندما دخلا إلى قاعة الحانة المبنية من جسور السنديان. جلسا أمام طاولة قرب النافذة. طلب بيتر كأس شراب لداليا وقهوة له. ثم تصفحا لائحة الطعام. كانت داليا تعي ملامسته لكتفيها، وتشم رائحة العطر الذي يستعمله بيتر فابتسمت عندما نظر إليها بعينيه الخضراوين وهو يحدق بها. خيل إليها أنه لا يجب أن تغرق في بحر شاسع، فأدارت وجهها تنظر من خلال النافذة وتقول:

«لا شك أن هذه السنديانة قديمة جداً، من أيام الأستعمار. أنظر إلى أغصانها الواسعة، ومن السهل أن يتسلقها الانسان».

«هل كنت تتسلقين الشجر عندما كنت صغيرة؟»

أجابت في حنين:

«آه، نعم. كان لطوني غريغ كلبة تدعى لولي، وفي إحدى المرات طاردت هرة حتى أعلى الشجرة، في حديقة منزلنا. فتسلقت الشجرة لانقذها، لكن تعثرت قدماي، ومن ثم ندمت وأقلعت عن تسلق الشجر».

«هل تريدين أن تقولي أنك سقطت عن الشجرة؟»

«نعم، وأصبت بألم في ظهري».

«هل تتذكرين اليوم الذي سقطت فيه أمام عجلات سيارتي؟»

«كان الثلج ينهمر وكنت تقود بسرعة! لقد أرعبتني يومها!»

رفع حاجبه وقال:

«هل ما أزال أرعبك، يا داليا؟ هل أنت نادمة لكوني سأصبح صهرك؟»

توقف قلب داليا عن الخفقان ثم عاد ينبض بسرعة فقالت:

«ماذا... ماذا تقصد؟»

«ألا تفضلين طوني غريغ، مثلاً؟ لا تفتحي عينيك هكذا. ماذا جرى؟ لدي أذنان صاغيتان ومنذ أسابيع علمت أن طوني غريغ كان صديق هيلين وليس صديقك. وأنني هزمته في آخر لحظة».

راحت داليا تقول:

«أنت رجل وقح، يا بيتر. لماذ يجب أن تبدو إنساناً قاسياً وعديم الاحساس أكثر مما أنت عليه حقيقة؟»

همس وهو يضحك:

«هس، يا فتاتي الصغيرة، هذا سر لا يعرفه أحد... أن أكون عاطفياً. الجميع شعر بصدمة عندما استسلمت للزواج، لكن معظم الناس ينتهون هكذا... ربما بسبب الوحدة وليس بسبب الرغبة. الرجل يعرف كيف يتعامل مع الرغبة.. لكن الوحدة شيء آخر...»

جاء الخادم حاملاً صينية الطعام، وخلال تناوله، دار الحديث حول موضوع آخر، ولم يتبادلا معاً المواضيع الشخصية وهذا ما أسعد داليا، من ناحية. إنها تحب بيتر كثيراً وليس بإمكانها تحمل اعترافاته حول الوحدة، ولما غادرا الحانة وركبا السيارة، تكومت داليا على نفسها وأسندت رأسها إلى الباب بعيدة عنه.

وفي طريق العودة فوجئت داليا بذكر اسم غاري من وقت إلى آخر في الحديث مع بيتر. بدأت تهتم به بصورة خاصة وبطريقة مختلفة. بإمكانها أن تضعه بينها وبين عواطفها تجاه بيتر، وأن تصنع منه درعاً لقلبها المضطرب.

قال لها بيتر:

«أنا سعيد لأنكما متفقان فيما بينكما. غاري إنسان موهوب، لكنني لا أريده أن يبقى مسجوناً مع الموسيقى. أريده أن يلهو ويستفيد من شبابه ومن عشرة فتاة طيبة. عندما كنت في سنه لم يكن هناك وقت للهو ولا حتى للوقوع في الحب... وعندما أفكر بالماضي، يخيل إليّ أن أحداً سرقني».

وعندما انعطف في طريق الجبل نحو لايتون، لمس ذراعه ذراع داليا. فلم تقل شيئاً، لكنها فهمت أنه يجب عليها أن تتحاشى الوجود وحدها معه في المستقبل. إن كل ما يقوله وما يفعله وأقل حركة من حاجبيه السوداوين، كل نظرة... كلها تعني لها أكثر مما يجب أن تعنيه حقاً. ولا يمكنها أن تسيطر على حبه وتهدىء من هلعها تجاهه، إلا بأن ترفض هذا النوع من اللقاء الحميم... وحدها معه... حتى يصبح يوماً مثل أخ لأخته. قالت:

«لكنك فخور بكل ما حققته، أليس هذا صحيحاً يا بيتر؟ لديك قدرة على مساعدة الآخرين. وهذا مهم جداً».

«ما بك يا داليا؟ أنت تعملين في مركز الضمان الاجتماعي، ولا شك أنك تتعاملين مع أشخاص لا يمكنك فعل شيء لمساعدتهم. أهذا يؤلمك؟»

«أنت إنسان حاد الذهن، يا بيتر».

رجعت إلى الوراء، وأسندت ظهرها إلى المقعد وشعرت بقلبها ينبض بسرعة، مرتعبة فجأة من نظرته الثاقبة. فأضافت:

«في الحقيقة...».

أمرها قائلاً:

«أخبريني!»

فأخبرته عن قضية المنازل القديمة المفروض أن تهدم وعن توتر السكان لدى فكرة ترك هذه المنازل حيث أمضوا قسماً كبيراً من حياتهم. وأخبرته عن سام ووروده، وعن روزي وهرتها. وانتهت تقول:

«هناك أرض يمكن لمجلس البلدية أن يشتريها، لكنها تكلف أموالاً طائلة والبلدية جهاز بخيل في الدولة. وهؤلاء العجزة سيدفعون الثمن!»

«أنت تتأثرين كثيراً بمشاكل الآخرين. أليس كذلك يا داليا؟»

أوقف بيتر السيارة أمام منزل سميث، ثم اتكأ على المقود وراح يتأمل الفتاة ويضيف:

«لا يمكنك أن تحملي هموم الجميع على كتفيك النحيلتين. أنا لا أسمح لك بذلك».

قالت في استغراب محاولة الضحك:

«صحيح؟ أنا لا أعمل عندك يا سيد شيريدان؟ أليس عندك أوامر لي؟»

«قريباً ستصبحين أختي الصغيرة».

«وأنت تنبهني الآن أنك ستصبح أخاً سلطوياً؟»

هز رأسه ومد يده أمامها وفتح باب السيارة ولحظة كان قريباً منها شعرت برغبة في أن تلمسه. فقال:

«لا تنسي المدينتين».

انفاسه لامست وجنتيها، فشعرت بالذعر، وانحنت على المقعد الخلفي وتناولت المديتين بسرعة. فابتسم لها ولمعت عيناه وارتجفت شفتاه بسخرية. فقالت:

«شكراً للطائر الأزرق، وللغداء، يا بيتر».

صفقت الباب وراءها ومن النافذة أضاف يقول بأنه سيمرّ لأخذ هيلين إلى السهرة، ثم انطلق. ظلت داليا واقفة تنظر إلى السيارة وهي تنعطف في اخر الشارع، وفي الوقت نفسه خبأت غيمة عابرة شعاع الشمس وأصبح النهار رمادياً. فارتعشت من البرد ودخلت إلى المنزل.

٥ ـ دبابيس الحزن

قامت هيلين بشراء معظم جهازها من لندن. ورفضت داليا مرافقتها في دورتها الجنونية على المحلات الكبيرة.

«لماذا لا تريدين مرافقتي؟ إنها تسلية لذيذة أن تشتري أشياء كثيرة عندما يكون معك حساب مفتوح».

أجابتها داليا:

«لدي عمل عليّ القيام به يومياً».

أصرت هيلين قائلة:

«بامكانك ترك العمل في الحال، كما فعلت أنا. وبيتر ليس مثل بقية الرجال، إنه لا يحب أن يرى أخته الصغيرة تعمل وهو يملك أموالاً طائلة».

«أحب المحافظة على حريتي واستقلالي!»

كانت داليا مشمئزة لرؤية هيلين تأخذ كل ما في وسعها من الرجل الذي سيصبح زوجها قريباً.

«بدأت أصدق أنك إنسانة ذات عقل ضيق، يا داليا. إن بيتر يعشق أن يكون كريماً، لماذا اذن لا أدعه يفرح لذلك؟ لو تدعين عزة نفسك جانباً وتأتين معي في دورة المحلات، لنتسلى معاً أفضل من أن أكون وحدي. في الماضي كنت تحبين مرافقتي عندما كنت أنوي شراء أشياء لي».

«هذا عائد إلى زمن قديم...»

قالت هيلين وهي تزم شفتيها:

«قبل أن أتعرف إلى بيتر. أليس كذلك؟ أحياناً أتساءل إذا لم تكوني غيورة. آه، الظاهر أنك متأثرة لما أقوله! أنت غيورة لأنني سأصبح عما قريب ملكاً لشخص آخر».

لم ترد داليا عليها. إنما شعرت بارتياح لظنون شقيقتها. في الواقع، لم تكن قادرة على احتمال فكرة الوجود مع هيلين و بيتر عندما يلتقيان في لندن على الغداء أو على العشاء.

همست هيلين بعصبية:

«العشاء في مطعم ريتز! آه إنك لا تعرفين يا داليا... لا تفوتي هذه الفرص النادرة».

فجأة أعلنت العمة سوزان قائلة:

«الزواج المعقود من أجل منافع مادية بحتة لا يمكن أن ينتج عنه إلاّ عذابات القلب للزوجين».

قالت هيلين ساخرة:

«إنها عذابات القلب الفاخرة».

لم يكن غاري يتكلم كثيراً حول تحضير الزواج بين هيلين و بيتر. وتهيأ لداليا أنه وافق على أن يكون الأشبين في تردد كما وافقت هي أن تكون الوصيفة الأولى.

صممت الفساتين عند خياط كبير في لندن. وكانت المحلات كقفير النحل والبائعات مبتهجات ونشيطات والأقمشة خلابة.

القياس الأول قامت به الخياطة جيرمين التي لم تتوقف لحظة عن الكلام وفمها مليء بالدبابيس والابر، و داليا كانت تخشى أن تبلع الخياطة الفرنسية أحد الدبابيس في أي لحظة! لكن جيرمين قالت:

«أنت مثل أختك تماماً. القياسات نفسها، ما عدا قياس الصدر».

«صحيح؟»

كانت داليا تشعر وكأنها دمية بين يدي الخياطة التي كانت تطلب منها أن تدور من هنا وهناك بلا توقف بينما هي تشبك عليها أمتاراً وأمتاراً من الحرير. وكانت تشعر بالاسترخاء والفتور وهي تصغي إلى ما يقال حول هذا الزواج المؤثر، الرائع، بين سندريلا والأمير فتى الأحلام...كانوا يتسلون في القول إنها قصة حب من أروع القصص التي حدثت هذا العام! لم تكن داليا قادرة على الاشتراك في هذه اللعبة. فقلبها لا يتحمل، وخاصة عندما يقال ان بائعة يتيمة وفقيرة تتزوج من رجل ثري وملياردير.

السيدة جيرمين تبتسم، برغم الدبابيس بين أسنانها وتلتفت إلى هيلين الجالسة بفخر على أحد الكراسي تحضر عملية القياس في اكتفاء وفرح.

«آنسة سميث، إن أختك الصغيرة لطيفة ورائعة. ما رأيك؟»

راحت نظرات هيلين تفصّل داليا في فساتينها اليومية، كانت داليا تبدو عادية، لا أكثر ولا أقل. لكن هذه الغيوم الحريرية كانت تكشف عن وجوه جديدة لشخصية الفتاة. واللون الأصفر الفاتح ينسجم ولون بشرتها في طريقة رائعة وجذابة. هزّت هيلين حاجبيها، نصف مندهشة، نصف ـ مبتهجة وقالت:

«فجأة تبدين فتاة ناضجة».

وبعد الانتهاء من القياسات، ذهبت هيلين والوصيفات الست للقاء

غاري الذي اصطحبهم إلى صالة أنيقة تقع قرب مكاتب بيتر اللندنية. وتناولت الفتيات هناك الحلوى والبوظة والقهوة.

وعلى حين غرة ظهر شخص طويل أمام باب الصالة. كانت داليا جالسة قبالة الواجهة، فتقلصت على الكرسي عندما اقترب بيتر في خطى واسعة وأكيدة وربت على كتف غاري وقال في ضحكة حارة:

«ضعني أمام هؤلاء الفتيات الجميلات!»

ابتسم غاري لولي أمره الذي قام بدورة حول الطاولة ليطبع قبلة على خد هيلين. فاستقبلت الأمر في برودة ملكي ونظرت إليه وهو يسحب كرسياً ويجلس بين داليا وصديقتها دربي وايت.

ثم سأل وكأنه الباشا يتفحص حريمه:

«إذن هل جرى كل شيء على ما يرام في منزل الحرير؟»

أجابت دربي وهي تأكل قطعة الحلوى:

«كل شيء كان رائعاً. سأرتدي الأزرق الفاتح و داليا الأصفر الفاتح. إنها رائعة في الأصفر!»

«آه، صحيح؟»

توقفت العينان الخضراوان لحظة على وجه داليا الحالم، ثم التفتتا نحو هيلين. فشعرت داليا بارتياح وتساءلت، لماذا تصر أختها على كل هذه البهرجة... وصيفات، فستان أبيض مطرز وباقات ورود حمراء...!

الورود الحمراء! إنها دليل الحب، الحب التضحية! وليست موجودة كي تضعها العروس التي تبيع نفسها للحصول على حياة سهلة وفاخرة.

قال بيتر فجأة موجهاً حديثه إلى داليا:

«تبدين حزينة على ما أظن. ألا تريدين أن تكوني وصيفة لأختك؟»

إنه يتكدها لكنها فهمت عندما التقت نظراتها بنظراته. إنها على حق في أن تتحاشاه بقدر المستطاع. إن حبها له يتطور وليس كما كان عليه في السابق، وأن تكون معه، حتى بوجود أشخاص آخرين، أصبح ذلك عذاباً كبيراً لها. وفي هذه اللحظة، كانت في حاجة إلى النهوض والهرب، لكنها مضطرة أن تبقى جالسة مكانها، وتبتسم وتكذب.

«لن أكون انسانة طبيعية إذا كنت لا أرغب في ارتداء فستان رائع بلون الزهر الأصفر».

أعلن بيتر وهو ينظر إلى الجميع:

«عندما تفرغن من تناول الحلوى، يا أيتها الآنسات الجميلات، لدينا موعد عند مجوهرات كارتيه. اعتقد أنكن تحببن المجوهرات المعلقة بسلاسل كهدية تقليدية».

فرحت الفتيات وابتهجن لهذا الكلام وقالت هيلين لخطيبها:

«يا لهذا الكرم، يا بيتر، وكم أنت ذكي لتعرف ما يعجب الفتاة».

قال ساخراً:

«إنها تداعبني، وتزيدها...»

«كنت امتدحك، يا حبيبي!»

وعندما مدت هيلين يدها نحو اليد الموضوعة على الطاولة، لمعت حبات الماس من خاتمها. فأمسك بيتر بيدها وقال ساخراً:

«جزيرة الزمرد المحاطة بالماس الانكليزي. عربون حبي لك، يا ساحرتي الجميلة».

كانت داليا حاضرة في هذه المناوشة الصغيرة ورأت هيلين تفلت يدها

من يد بيتر وتقول له بجفاف:

«هيا بنا، الآن».

نهض الجميع للحال وأمسكت دربي بذراع داليا عندما خرجا من صالة الشاي وهمست:

«أليس هذا رائعاً أن يشتري لنا السيد شيريدان هذه السلاسل والمجوهرات. ألا تجدينه إنساناً رائعاً؟»

نعم، إني أعشقه. كادت داليا أن تصرخ، وتقول ذلك علناً، في صوت عالٍ، وتصدم الجميع وتسخر منهم. نعم، إني أعشق بيتر شيريدان ولا تهمني ثروته بقدر ما تهمني شخصيته!

وبدلاً من ذلك، ابتسمت لدربي وأجابتها بأنه إنسان كريم جداً.

اقترب غاري من الجهة الثانية وقال:

«أربعة أشخاص سيذهبون في سيارة التاكسي إلى محلات كارتيه. والباقون سيستقلون سيارة بيتر».

قالت دربي بينما كان غاري يوقف السيارة:

«إني أعشق ركوب التاكسي!»

وصعد الجميع في السيارتين، وظلّت داليا صامتة ولم ينتبه لها أحد وذلك بسبب ثرثرة بقية البنات.

المجوهرات التي أوصى بها بيتر للوصيفات كانت على شكل قلب محاط بدائرة ذهبية ومعلق بسلسلة دقيقة.

قالت دربي لبيتر:

«إن جوهرتي رائعة وسأضعها وأنا في السرير وأنا أكيدة أنها ستجلب لي حظاً

سعيداً، يا سيد شيريدان».

أجابها بيتر متأثراً:

«أريدها أن تجلب لك الحظ، يا صغيرتي».

قال غاري وهو يحمل حجارة الياقوت الأزرق (السافير) وينظر إليها باعجاب:

«دعيني أرى مجوهراتك يا داليا.إنها رمز الاخلاص، أليس كذلك؟»

رفعت هيلين حاجبيها الرفيعتين، وقالت:

«يمكنك أن تتأكد، يا غاري، أن داليا دائماً مخلصة».

التفتت داليا بسرعة إلى بيتر الذي كان يشعل سيكارة وعيناه تحدقان بهيلين.

لاحظت داليا نظرات بيتر المصوبة إلى هيلين، فخطفت انفاسها ثم تنهدت ببطء وهي تفكر بأقوال عمتها فيما يختص ببيتر، خاصة حين قالت: «إذا تزوج بيتر من هيلين، ستصبح ملكه بصورة نهائية. وسينتظر منها وريثه والاخلاص التام وستضطر إلى أن تؤمن له الأثنين معاً». وتلك النظرات كانت تعني فعلاً ذلك.

وفي الأسبوع التالي، بدأ غاري يتمرّن بصورة جدية استعداداً لحفلته الفنية حيث سيعزف بعضاً من مقطوعاته الجديدة والقديمة. وستتم الحفلة في صالة الحفلات في مدينة برايتون، قبل أيام معدودة من حفل الزواج الذي سيعقد بين بيتر و هيلين.

لذلك لم تر داليا غاري إلاّ نادراً وكانت سعيدة لهذه الأستراحة. ذلك أنه

بدأ يلمح إلى خطبة بينهما، ولا شك أنها بدأت تكن له عطفاً ومحبة. إن شعوره الرهيف ولطفه ومودته ليست سوى فضائل نادرة في عصرنا هذا، وعندما يقول له إنه في حاجة إليها، كانت تعرف أن ما يقوله صحيحاً. كما كانت داليا ترغب في دفن حبها لبيتر بين أحضان غاري. لكنها ما زالت بحاجة إلى وقت طويل قبل أن تقتنع بضرورة الزواج منه.

وفي منزل عمتها حيث تعيش داليا، من المستحيل أن تجد وقتاً للتفكير. فالمنزل مقلوب على بعضه البعض بسبب تحضيرات العرس. صديقات هيلين يتوافدن باستمرار، والعرس سيتم في كنيسة لاوتون، وحفل الزواج في فندق قريب، لكن سيارات الرولس رويس ستأخذ العروس والمدعوين من منزل عمتها.

ونهار السبت، صباحاً، شعرت داليا أنها تخلصت من هذه الضوضاء لمدة ساعات قليلة. النهار كان حاراً ورطباً، ففكرت أن تقوم بنزهة طويلة على الأقدام في أعلى الجبل. ركبت باصاً أوصلها إلى التلال المكسوة بالعشب الأخضر وحيث بامكانها أن تجد الهدوء بين الأزهار البرية والعصافير المغردة وقطعان الغنم والماعز.

وبعدما نزلت من الباص، تسلقت ممراً متعرجاً وعالياً إلى درجة أنها سمعت الريح تعصف وتتنهد. ثم أختارت بقعة مليئة بعشب الخنشار وجلست هناك وأخرجت من حقيبتها بعض السندويش وأكلت، ثم جلست رافعة ركبتيها، مكتفة اليدين حولها، وحيدة، لا يرافقها سوى قطيع بعيد من الغنم، وتحليق العصافير في السماء الزرقاء.

أخيراً وجدت نفسها وحدها مع أفكارها، حرّة في أن تتأمل الحوادث التي حصلت خلال الأسابيع الماضية، بينما كانت الحشرات منهمكة في أعمالها من دون

مشاكل والفراشات تحلق من زهرة إلى زهرة... إذا قبلت بالزواج من غاري، فسيفرح عمها وعمتها لهذه الفكرة. إنهما يحبان هذا الرجل محبة كبيرة. سبق وقال لها عمها منذ أسبوع إن غاري هو من نوع الرجال الذي طالما حلم بأن تتعرف داليا إليه يوماً.

وضعت داليا ذقنها على ركبتيها وتساءلت لماذا تحب بيتر، وغاري يتحلى بصفات ومزايا عديدة يمكن أن تعجبها. إنه شاب وسيم وفنان كبير. كانت تريد أن تحبه، لكن هناك بيتر... بيتر.

وبعد تأوه حزين، تمددت داليا على العشب، ورأسها بين يديها. أغمضت عينيها وتمنت لو بامكانها أن تبقى هنا مكانها، وألاّ تعود إلى المنزل، إلى العالم، حيث بدأت الحياة تبدو لها معقدة وغريبة.

كانت نصف نائمة عندما سقط ظل عليها. ظل طويل بقي جامداً لا يتحرك إلى أن أفاقت داليا والتفتت وسمعت صوتاً يقول:

«صباح الخير، يا حورية».

أصيبت بدوار. بيتر... هنا! ثم استعادت وعيها وابتسمت له وقالت:

«صباح الخير، يا جبل!»

كان واقفاً فوقها وبدا لها كأن رأسه في السماء الزرقاء التي بدأت الغيوم تلبدها. فالعاصفة قريبة. كان بيتر يضع على كتفيه سترة خضراء، وعلى فمه ابتسامة ايرلندية معبّرة.

«تنامين مثل طفلة. إني آسف لاحتلالي هذا المكان».

«لم أكن نائمة، بل مستلقية في هدوء. يا لهذه المفاجأة، يا بيتر في مثل هذا اليوم الحار والرطب لم أكن أتصوّر لقياك هنا، بل ربما في حوض السباحة في بلفديري».

قال وهو يحاول الجلوس قربها:

«أجيء إلى هنا مراراً للتنزه. أشعر بالاسترخاء والهدوء بعد أعمال المكتب التي تجبرني على البقاء في الداخل وقتاً طويلاً. هل تحبين أن تدخني سيكارة؟»

قدم لها علبة وداخلها سكائر تركية وأميركية. اختارت داليا سيكارة أميركية. والعينان الخضراوان تلمعان كحجارة الجاد في وجهه الأسمر اقترب منها عندما أراد أن يشعل لها سيكارة.

وغريزياً ابتعدت عنه واسندت كوعها على العشب وقالت له:

«حدثني عن أفريقيا. هل هي قارة جميلة؟»

«جميلة؟ إنها بلاد واسعة ومهجورة وتدعى قارة الرجال، حيث النساء مدللات أكثر من انكلترا».

«هل قلت لهيلين انك تنوي العودة إلى أفريقيا؟»

سألها بسخرية:

«هل تتصورين أنها ستعارض ذلك؟»

«لدي فكرة أنها تعتبر أفريقيا مثل مكان ناء».

«ستغير نظرتها عندما تذهب إلى هناك. إن المحلات كبيرة وفاخرة وستحبها. وحياتنا العصرية متألقة مثل لندن و باريس. أنا أعيش في الريف لكنني أملك طائرة خاصة وأقوم بسفريات مستمرة. وستكون هيلين فرحة للأهتام الذي ستلقاه هناك».

نظرت إليه داليا واتصدمت لرؤية تعبيره القاسي والمجازف: تعبير لاعب جانح، مطلق العنان.

تناولت نفساً عميقاً من سيكارتها. كان بيتر يراهن على حب هيلين

وتساءلت داليا كيف بإمكان شقيقتها أن تكون عمياء بهذا الشكل. ألا ترى أنها ستتزوج من رجل عنده طاقة على الحب بجنون؟ إنه رجل مستوحد. وقد افتقد طيلة حياته الحنان الحقيقي وهو مستعد ليحب امرأة شابة حتى العبادة...

ضجيج هذه الأفكار أحرق عيني داليا وبدأ قلبها ينبض بسرعة عندما تأملها بيتر وهو يغمز بعينيه الخضراوين.

همس قائلاً:

«يا للعجب. أنت لا تشبهين هيلين أبداً».

«أنا لست جميلة مثلها. ولا نشبه بعضنا إلاّ من وقت إلى آخر».

«أنت متلاشية، يا داليا، ومستعدة للأنطلاق من لحظة إلى أخرى... كيف حال الطائر الأزرق؟ ألم ينكسر بعد؟»

«كلا. إني أعتني جيداً بأغراضي».

«وتحافظين على كنوز الطفولة. أليس كذلك؟ الدب الأبيض الذي ينام في سريرك. والدمية التي غاب اللون عن وجهها؟»

كانت لهجته خفيفة ومتاكدة. فاحمر وجه داليا. هكذا إذن، فقد باحت له هيلين ببعض الأسرار، ولا شك أنهما ضحكا وهزئا منها وهذا ما يعذبها.

أجابت:

« هيلين تكسر كل لعبها. كانت هكذا دائماً، فلم تحب أي شيء وقتاً طويلاً كي تتعلق به».

«أنا أتخيل ذلك تماماً. كما نكون في الصغر نصبح في الكبر... مثل النمور، لا يمكنها أن تغير خطوط جلدها».

« بيتر!»

لمست داليا كم سترته ثم سألت في صوت لاهث ومبهور عن عزف غاري في هذه الأيام الأخيرة وعن شعوره حيال اقتراب موعد الحفلة الموسيقية. كان يجب عليها أن تتذكر باستمرار وفي كل لحظة، ألا تترك عواطفها تجاه بيتر تسيطر عليها. اللمس ممنوع، فسحبت يدها بسرعة وقطفت زهرة صغيرة برية.

وبدأ الحديث يدور حول حفل غاري والسهرة الموسيقية. سألها هل تعرف أن مقطوعة حورية الغاب ستكون جزءاً من البرنامج المقرر؟ هزت رأسها ولاحظت ابتسامة بيتر الخاطفة. ثم رفع عينيه الخضراوين نحو السماء، حيث تمر الغيوم المهددة بقرب العاصفة، والشبيهة بأسماك ضخمة. العصافير تغطس من السماء. وهناك ريح ثقيلة تجلب معها دوياً بعيداً آتياً من البحر.

قال بيتر وهو يقف فجأة:

«أنا أكيد أن العاصفة قريبة. تعالي يا داليا. حان وقت العودة».

أمسكت داليا باليد الممتدة نحوها وشعرت بأصابعه القوية تضغط على أصابعها عندما رفعها واقفة.

همست من دون أن تنظر إليه وهي تنفض العشب المعلق على سروالها:

«نحن ذاهبان في اتجاهين معاكسين سأستقل الباص وأعود إلى لاوتون».

قال من دون أن يفلتها:

«كلا. أفضل لك أن تأتي معي. إن الباصات لا تمر في الوقت المحدد، وستبتلين كلياً عندما تندلع العاصفة وتنهمر الأمطار الغزيرة. تعالي معي إلى بلفدير، وتناولي الشاي معي ومع غاري. ثم أعيدك إلى المنزل. لدي موعد مع هيلين، وإيصالك لن يكون إزعاجاً لي».

كان من غير المجدي معارضته، لأنه سحبها وأخذها في الاتجاه المعاكس الذي يؤدي بها إلى بلفدير. صمت غريب يخيم على الجبل. ثم عصف الرعد ولمع البرق في السماء القاتمة.

انتفضت داليا من دوي الرعد ومن ذراع بيتر حول خصرها. كان يجبرها على الركض تحت المطر المفاجيء، نحو طاحونة بيضاء كانت تدور بتأثير الريح. دخلا من الباب المفتوح وكان الداخل مظلماً وخالياً من أي مخلوق. وصوت ضحكتهما يتردد وهما يمسحان قطرات المطر عن وجنتيهما. وفي الخارج، الصاعقة والرعد والبرق، تدوي مثل سلاح المدفعية.

«لحسن حظنا وجدنا هذا الملجأ! يا إلهي نسيت أن الطقس سيء في انكلترا».

كانا ينظران إلى البرق يخترق السماء و داليا ما زالت تشعر ببيتر من وراء كتفيها، وعيناه تلمعان في العتمة، كأنهما مولد حيوية وطاقة. إنه رجل يحب المخاطرة. رجل يمكن مشاركته في الخطر من دون خوف، وتعبر بها قشعريرة لا تحتمل...

قال:

«أشعر أن قلبك يخفق بقوة بين يدي. هل أنت خائفة؟»

هزت رأسها، لم تكن خائفة من العاصفة، بل من بيتر، من نفسها، من رغبتها الجامحة أن تجد نفسها بين ذراعيه وتشعر بهما تضغطان عليها بقوة. أغمضت عينيها، خجولة من هذه العاطفة التي تكنها لرجل تملكه أختها، الجميلة والفاتنة، التي تحطم الأشياء بعد أن تمل منها.

وظلت العاصفة تدوي في قوة مدة نصف ساعة، ثم بدأ المطر الغزير يهدأ والريح تصفق وجه داليا الحار، وبعد دقائق تمكنا من الخروج من هذا الملجأ.

أشرقت الشمس كأنها تعتذر لما حدث. ولما وصلا إلى بلفدير كانا مبللين من العشب العالي الذي ما زال يرشح بمياه المطر.

دخلا معاً إلى الفيللا واقترح بيتر على داليا أن تأخذ دوشاً ساخناً وتغير ملابسها المبللة فاحتجت قائلة:

«وماذا سأرتدي بعد أن أخلع ملابسي المبللة؟»

«سأحاول إيجاد شيء لك».

وفكرت داليا أنه ربما سيعطيها سروالاً واسعاً وكنزة عريضة.

وتحت الدوش شعرت داليا بالانتعاش والدفء، وراحت تفرك جسمها بالصابون العطر وتنشفه بمنشفة كبيرة ساخنة. ثم لفتها على جسمها ودخلت إلى الغرفة المجاورة حيث وجدت شيئاً حريرياً ممدداً على السرير. تناولته داليا ولاحظت أنه فستان فضفاض يدعى كيمونو ياباني، رائع وأكمامه العريضة مطرزة، بلون الذهب ومن قماش الحرير السميك.

خفق قلبها وارتدته وعقدت الزنار ثم تفحصت منظرها في مرآة منضدة الزينة. الزي يليق بها تماماً. وبشرتها تبدو كالحليب قرب الحرير المذهب.

أعجبت بصورتها في المرآة وتعثرت قدمها بشيء لماع في أرض الغرفة قرب السرير. فانحنت وإذا بها تكتشف حذاء يابانياً مذهباً، فانتعلته ببساطة. ثم راحت تداعب الحرير بين يديها وانتفض قلبها عندما سمعت طرقاً على الباب. ففتحته ورأت دونوفان، الذي قال لها وهو يبتسم مظهراً أسنانه البيضاء:

«سآخذ ملابسك المبللة لأجففها يا آنسة. ستبدين كالفراشة، لو سمحت لي بهذا التشبيه».

بادلته ابتسامته وقالت:

«سأجلب لك قميصي وسروالي».

ولما اعطته إياها ابتسم لها مرة أخرى ابتسامة عريضة تدل على أنه إيرلندي عتيق:

«قال لي بيتر إن عليك موافاته إلى غرفة الموسيقى لاحتساء الشاي».

«هل هذا الكيمونو من اليابان حقاً؟»

«بكل تأكيد يا آنسة. إن بيتر يحب جمع الأشياء الجميلة عندما يقوم بزيارة أي بلد كبيراً كان أم صغيراً. وكذلك يعشق تقديم ما يجمعه لأصدقائه. إذا لعبت دورك كما يجب، ستأخذين هذا الكيمونو الجميل معك».

أضاعت داليا ابتسامتها وأجابته بجفاف:

«لم يخطر ببالي أن أخطط من أجل زي ياباني!»

قطب دونوفان حاجبيه وقال:

«النساء لا يبحثن إلا عن شيء واحد وهو الاستيلاء على اشياء واحتكارها، ثم يضجرن من الرجل ويهملنه. أتريدين أن تقولي لي أنك امرأة مختلفة عن بقية النساء؟»

«يبدو لي أنك تتدخل بأشياء لا تعنيك، يا دونوفان».

«نعم، ربما أنت مختلفة. لكن بيتر وشقيقتك سيتشاجران كالقطط لأن في داخل كل منها شيطاناً. إذا داعبته المرأة فلن يكون شريراً، لكن هذه الانسانة الجميلة، شقيقتك ليست من النوع الذي يداعب».

خرج دونوفان فلحقت داليا ببيتر إلى غرفة الموسيقى، وأمام الباب وقفت تتأمل مسكته ولا تجد شجاعة في الدخول والنظر إلى بيتر الذي سيتزوج من أختها بعد ثمانية أيام. إن مخاوف داليا لم تأت من الغيرة. أن

يحبها بيتر، كان هذا بالنسبة إليها حلماً مستحيلاً... لكنها كانت تتمنى من كل أعماق قلبها أن تحبه هيلين في صدق وإخلاص.

فتح غاري عينيه الواسعتين عندما دخلت داليا إلى غرفة الموسيقى وأسرع يمسك يديها ويقول:

«تشبهين زهرة اللوتس، بيضاء ذهبية».

أجابت ضاحكة وهي تلتفت إلى بيتر:

« دونوفان قال لي إني أشبه الفراشات. هذا الكيمونو رائع. شكراً لأعارته لي حتى تجف ملابسي».

«إنه يليق بك كثيراً يا داليا. أحب أن تحتفظي به».

همست في حيرة وارتباك:

«وفي أي مناسبة سأرتديه، يا ترى».

«غالباً جداً... والآن تعالي واخفي احمرار وجهك في فنجان شاي».

٦ ـ اليوم القريب... البعيد!

الساعة التي تلت كانت ممتعة لداليا. كان غاري جالساً في ارتياح ممدداً قدميه، يتأمل داليا وهي تأكل البسكويت والحلوى. احتسى بيتر عدة فناجين شاي ودخن أكثر من العادة. وراح يتحدث عن اليابان وعن البلدان التي زارها وهو يقوم بأعماله وعن الغسق الذي يطل وراء النافذة. وتمنت داليا ألاّ تنتهي هذه الساعة أبداً.

ألقى بيتر نظرة سريعة إلى ساعته وأطفأ سيكارته وقال:

«حان الوقت لأعد نفسي وأرتدي ثياب السهرة».

وبينما كان ينهض من مقعده المريح وراح يتأمل داليا الممددة في ارتياح على مقعد مماثل. وقال لها:

«لن استعجلك إذا كنت تريدين البقاء مع غاري مدة أطول. أعرف أنكما لم تريا بعضكما في الأسبوع الماضي».

قال غاري في استغراب قبل أن يتسنى لداليا الرد:

«أنت رجل متفهم يا بيتر. نعم، أرجوك، دع داليا هنا».

«سأقول لعمتك أنك مع غاري وأنه سيوصلك إلى المنزل فيما بعد».

ذهب بيتر وأغلق الباب وراءه. وفجأة بدت الغرفة باردة بالنسبة إلى داليا، فانتفضت عندما أمسك غاري يديها. كان يبتسم وقامت بجهد لترد بابتسامة

فاترة. إن دخان سكائر بيتر ما زال يعبق في قاعة الاستقبال، وهو يشكل حجاباً بين غاري وبينها. إن اليدين اللتين تمسكان يديها كانتا ناعمتين ونحيلتين، ولا تنسجمان أبداً مع أيدي عمال المناجم القاسية.

قال غاري:

«كان بيتر يدخن كثيراً، هل تعتقدين أنه يعاني من خوف كما هي العادة عند الأشخاص الذين يستعدون لخوض معركة الزواج؟»

«ربما، إن الرجال الأقوياء ليسوا دائماً محصنين ضد هذه التجربة المصيرية، تجربة الزواج».

«لن يكون زواجاً مصحوباً باحتفال ضخم وأنت لا تريدين الحرير والساتان والمصورين أليس كذلك، يا داليا؟»

شعرت داليا باختناق داخل حنجرتها. لكنها لم تحاول إخفاء هلعها، إذ أن غاري طمر رأسه بين يدي داليا وقال متوسلاً:

«قولي انك ستتزوجينني. ليس في امكاني التفكير بشيء آخر غير أن أكون معك، في ديكور رومنطيقي، وفي اصبعك خاتم الخطبة، حتى الحفلة الموسيقية فقدت كل معناها، فوجهك يظهر أمامي في كل لحظة وصوتك يهمس في أذني... لا أحد غيرك... غيرك... أنت!»

وفي تأوه وحسرة، رفع يدي داليا على شفتيه الساخنتين ومدّ فمه إلى معصم يدها حيث يخفق نبضها في غير انتظام. فسألها:

«هل الحب يخيفك؟»

الحب يعذبها ويؤلمها!

صرّح غاري وهو يرفع عينيه نحوها:

«بالنسبة إليّ، فالحب يخيفني. إنه شيء مرعب أن تصبح الحبيبة العالم كله بالنسبة

إلى الحبيب، أن تضيئه بابتسامة، وأن توقعه في الظلمات في تقطيبة حاجب...»

سألت داليا في لهجة خفيفة متأثرة:

«هل تقصد إنني أقطّب حاجبيّ غالباً؟»

إن رغبته الجارفة وعنف حبه هي أمور حتمية كما يبدو فأجابها:

«أنت لا تقطبين حاجبيك، يا حبيبتي. لكن من وقت إلى آخر تبدين بعيدة مني، تبتعدين في أفكارك وأنا أشعر بالضياع، أحاول أن أبحث عنك، من دون جدوى أريد أن أمسك... أن أصل إليك...»

لمسها ونهض واقفاً، وأوقفها معه وضمها بين ذراعيه وراح يعانقها في عنف وحنان وهي حاولت التخلص في البداية، ثم وضعت يديها على عنق غاري وراحت تداعب رقبته وتستسلم لهذا العناق.

قال وفمه على شريان عنق داليا النابض:

«أنت تحبينني! آه، يا حبيبتي، كنت أشك في ذلك... لكن لا يمكنك أن تكوني هكذا بين ذراعي وتستسلمي لعناقي، إذا كنت لا تحبينني».

كبتت داليا زفرة. ما شعرت به تجاه بيتر جعلها قابلة للتوتر أكثر من اللزوم. وما حدث بينها وبين غاري لم يكن سوى تسكين جسدي في ذراع شاب جذاب يحبها حتى الجنون.

افلتت منه وابتعدت عنه، ووجهها أحمر وساخن. وضع غاري يده المتوترة في شعره وقال:

«إني أسف لما حدث الآن، يا داليا، لم يعد في امكاني الصبر أكثر من هذا. يجب أن نتزوج... وفي أقرب وقت».

قالت في تلعثم:

« غاري... إني... أرجوك. أعطيني بعض الوقت لأفكر في الموضوع...»

صرخ وفي عينيه شغف واضح:

«كيف في امكانك أن تعانقيني كما فعلت ثم تطلبين مني الأنتظار؟»

شعرت بالخجل، إنها تكن له محبة كبيرة ولهذا تريد أن تكون صريحة معه حتى النهاية، فقالت:

«الزواج يدوم مدى الحياة، يا غاري. لا أريد أن نكون مخطئين حول حقيقة عواطفنا».

«أنا أعرف جيداً حقيقة عاطفتي تجاهك، يا داليا. تريدين أن تفهميني إنك لا تشعرين تجاهي بالعاطفة نفسها؟»

«إني ... إني أكن لك المودة والاحترام...»

«يا إلهي، يا داليا. كيف تتغيّرين بهذه السرعة؟»

أحمرّت خجلاً وقالت:

«هل تتصوّر أن النساء مختلفات عن الرجال، يا غاري؟ نحن أيضاً نطلق العنان لعواطفنا ثم نهدأ... وأنت لست بالنسبة إليّ الانسان الذي لا أبالي به».

«لكنك لا تتخبطين مثلي في الرمال المتحركة، حتى الرقبة، أنا الذي أريدك في كل لحظة. ماذا يمكنني أن أفعل، يا داليا؟»

كانا يتفرسان ببعضهما البعض في عتمة الغرفة الصامتة. ثم سأل غاري في صوت متردد:

«هل هناك رجل آخر؟»

السؤال كان صدمة لداليا، فتراجعت إلى الوراء، إلى المقعد الذي كان بيتر يجلس فيه، وتعلّقت بالمقعد وقالت:

«أنت الشاب الوحيد الذي أخرج معه».

«في الوقت الحاضر، نعم، لكن أتساءل ما إذا كان لديك في الماضي رجلاً آخر،

أليس هذا الطبيب طوني غريغ صديقك القديم؟ كلما التقيت به، لا تتصرفين معه بشكل طبيعي».

«طوني كان يريد هيلين، لا أنا».

فجأة انفتح الباب وبدا دونوفان على عتبة غرفة الموسيقى وسأل:

«هل تريدان تناول العشاء هنا أو في غرفة الطعام؟»

أجابت داليا وهي تستعد للخروج:

«في غرفة الطعام».

وتبعها غاري في حزن.

بعد العشاء قرّرت داليا العودة، فاستقلا السيارة التي قادها غاري في صمت طيلة الطريق. لكن عندما توقف أمام منزل آل سميث، أمسك بيدي داليا وقال هامساً:

«لا أريد أن يؤثر ما حدث في المساء على حبنا. أن أحبك ولا أحصل عليك، عذاب كبير. لكني لا أريد أن أخسرك نهائياً».

قالت في استغراب وهي تطبع قبلة على خده:

«لا تيأس يا غاري. ما أطلبه هو بعض الوقت».

نزلت من السيارة وحيته وهي تشير بيدها وتنظر إلى السيارة وهي تقلع. ثم دخلت ممر الحديقة وهي تجر قدميها، متعبة ومنفعلة. المنزل كان صامتاً وخالياً. هيلين خرجت للسهرة برفقة بيتر، عمتها سوزان وعمها هاري ينتميان إلى نادي راقص حيث تقام كل مساء سبت حفلة راقصة لن يعودوا إلاّ بعد ساعتين على الأقل. فدخلت داليا إلى المطبخ وأعدت لنفسها فنجان شاي وصعدت إلى غرفتها لتنام.

صباح الأثنين استيقظت داليا وحرارتها مرتفعة ولم تجرؤ على النهوض من

سريرها. ولّما رأتها عمتها في هذه الحال أسرعت في إحضار الطبيب.

لم يكن الدكتور غريغ العجوز الذي وصل بعد ساعة، لكن ابنه طوني.

ولّما دخل إلى المنزل، قام بحركة مترددة وقلقة وأسرعت العمة سوزان تطمئنه وتقول:

«ذهبت هيلين إلى لندن».

«جئت مكان والدي. إنه مريض ومصاب بالانفلونزا التي تعم البلاد».

«آه، يا إلهي. إذن داليا مصابة بالمرض نفسه. إنها تشعر بألم في كل أنحاء جسمها وهي بالكاد تستطيع الكلام».

كانت داليا فعلاً مصابة بداء الانفلونزا ولكن طوني أكد لها أنها ستشفى منه قبل السبت، موعد الاحتفال بزواج هيلين و بيتر.

وخلال ايام الاسبوع كان المنزل مقلوباً على بعضه البعض وكانت داليا تحاول جهدها أن تبدو سعيدة بكل ما يدور حولها. كانت تقنع نفسها بأن المرض هو الذي يوتر أعصابها إلى حد أنها بدأت تتكهن بحدوث أشياء غريبة.

عندما عاد طوني في منتصف الأسبوع، أعلن أن صحتها في تحسن ملموس وأن في أمكانها مغادرة السرير لساعة أو ساعتين خلال النهار.

قال لها:

«لا شك في أنك سئمت كل ما يحدث هنا من أجل التحضير لحفل الزواج. الشاحنات المحملة بعلب الهدايا وساعي البريد حاملاً الرسائل...»

ولاحظ وجود ثوبين طويلين في أكياس شفافة، معلقة في الخزانة المفتوحة... ثوب أبيض يلمع كالثلج ومطرز بحبات اللؤلؤ فقال وهو يتصنع الابتسام:

«يا له من ثوب جميل. ستبدو هيلين رائعة حقاً».

ومن خلال المرآة، رأت داليا وهي في سريرها وجهها يتقلص ألماً فأشاحت

عن المرآة بسرعة ونظرت من خلال النافذة، من دون أن ترى شيئاً.

همس طوني قائلاً:

«قولي الحقيقة يا داليا. أصحيح أن هيلين تتزوج من بيتر شيريدان من أجل المال والحياة السهلة التي يمكنه توفيرها لها؟»

فوجئت داليا، لكنها قالت لنفسها إن طوني تألم من الخيبة بما فيه الكفاية فقالت:

«ليس في الكون امرأة تتزوج من رجل فقط من أجل الأسباب التي ذكرت. وهيلين امرأة قبل كل شيء، عليها أن تحب... وأن تُحَب».

أشعة الشمس التي تخترق النافذة تلمع في شعر طوني الأشقر، لكنه عندما نظر إلى داليا، بدت عيناه حزينتين.

« هيلين تحب المال منذ أن عرفتها، وكانت دائماً تحلم بأن تصبح انسانة معروفة. أنت صادقة في قولك أنها تحب شيريدان، لكنني أعرف، في أعماق قلبي، أنها ستعيش مع بيتر في جحيم من عذابات القلب، إذا اعتقدت بأن بيتر يحبها».

قالت له داليا وقلبها ينسلخ:

«إنه يحبها، يا طوني. إنها مأساة أن يحب الواحد الانسان الذي ليس في إمكانه أن يبادله هذا الحب».

ثم قررت تغيير هذا الحديث المؤلم وسألته ما إذا كان في امكانها أن تحضر حفلة غاري الموسيقية في برايتون مساء اليوم التالي.

وأضافت وهي ترى طوني متردداً:

«سنذهب في سيارة بيتر و غاري يصرّ على حضوري ولا أريد أن أخيب آماله».

«لو كان أبي الذي يعالجك لنصحك بقضاء يوم اخر بكامله في السرير أو داخل الغرف على الأقل، لكن عليك الخروج إذا أرتديت ملابس سميكة».

«كيف حال والدك؟»

«لا بأس. عندما يمرض والدي فهو يحتاج إلى وقت طويل قبل أن يشفى تماماً تركته ممدداً في مقعد مريح في الحديقة وآمل أن يظل هناك عندما أعود إلى المنزل بعد انتهائي من زيارة المرضى. على فكرة، لدي مرهم يشفي الشفاه المشققة».

فتش طوني في حقيبته ولم يجده. فقال:

«لا شك أني نسيته على مكتبي. سأمر بعد قليل وأحضره لك».

قالت داليا وهي تعرف أنه مشغول بزيارة المرضى ويحل مكان والده في كثير من الأمور:

«أرجوك يا طوني لا تزعج نفسك من أجل ذلك».

ابتسم لها في حزن وقال:

«سأجد الوقت المناسب لأزورك. لا تقلقي. هيلين تريد أن تكون وصيفتها الأولى جميلة يوم السبت».

بعد ذهاب طوني، نهضت داليا من فراشها وجلست أمام منضدة الزينة وراحت تتأمل في المرآة ملامح وجهها الشاحب. يا لهذه البلبلة العاطفية التي نتجت عن هذا اللقاء مع بيتر تحت الثلج لو لم تقع، لمرت سيارته من دون أن تلمحها ولكانت أكملت طريقها إلى البيت مشياً على الأقدام.

أطلقت زفرة وتناولت المشط وراحت تسرح شعرها، ثم ذهبت إلى المطبخ في منزلها الأبيض حيث كانت تفوح رائحة الطعام والحلوى التي كانت تعدها العمة سوزان.

قالت لها عمتها في ابتهاج ومحبة:

«صحيح هذا يا حبيبتي، قال لي طوني ان في إمكانك النهوض لبعض الوقت».

جلست داليا في كسل في كرسي هزاز تاركة عمتها تسترسل في الكلام.

«كانت هيلين في لندن تشترك مع بيتر في ندوة صحفية ينقلها التلفزيون».

تابعت العمة سوزان كلامها وهي تضع على الطاولة قالب الحلوى وترش عليه السكر الناعم:

«ستموت فرحاً إذا اضطررت يوماً إلى الوقوف أمام عدسات الكاميرا وينهال عليّ الصحفيون بأسئلتهم الوقحة. لكني اعتقد أن اختك قادرة على مجابهة أي وضع كان من دون أن يهتز لها جفن».

«تملك هيلين الثقة التي تتحلى بها من خلال جمالها الكامل. لو ذهبت في الماضي إلى لندن وعملت هناك كعارضة أزياء لنجحت بصورة أكيدة».

قالت العمة سوزان:

«إن الأناقة الجميلة هي عنوان الكسل. إنها مهنة قاسية أن تكون عارضة أزياء عند كبار مصممي الازياء، ويناسب هيلين أن تعمل هنا عند مونيك، التي تقدم دائماً أجمل الفساتين لزبائنها الأثرياء و هيلين تعرف أنها أفضل عارضة في لاوتون. أما في لندن فأنها ستجد منافسة قوية».

إن ما تقوله عمتها صحيح، إذ أن هيلين أفصحت لداليا مرة أن في إمكانها الحصول على ما تريده من دون أن تقوم بجهد في لندن.

«الهاتف يرن، يا حبيبتي، أرجوك أن تأخذيه عني، من فضلك».

كان غاري على الهاتف ولمّا سمع صوت داليا قال فرحاً:

«آه، لقد نهضت من السرير كنت قلقاً عليك. أردت المجيء لزيارتك لكن عمتك خشيت أن أصاب بالمرض نفسه وألاّ أكون قادراً على العزف مساء غد. هل

تشعرين بتحسن؟ هل أنت قادرة على حضور الحفل غداً؟»

أكدت له داليا قائلة:

«إني أشعر بتحسّن ملموس ولا شيء يمنعني من حضور سهرتك الموسيقية، يا غاري».

«عظيم. أعرف أني لن أعزف جيداً إذا لم تكوني هنا لتشدي من عزيمتي. هل كان مرضك مزمناً حقاً، يا حبيبتي؟»

«نعم. وأنت؟ هل عملت كثيراً؟»

«نعم. إن مستقبلي كموسيقي يتوقف على كلمة الرأي لعام، أو بالاحرى مستقبلنا، أنت وأنا».

شعرت داليا بالكآبة، لكنها سرعان ما أحست بارتياح عندما راح يتحدث عن الندوة الصحفية التي سيقيمها بيتر في فندق سافوي في لندن.

«إن بيتر يكره هذه الأمور لكن في الوقت الحاضر، لا يمكنه الهرب من ذلك وخاصة وأنه على أبواب الزواج. في الحقيقة، إنه ينجح دائماً في التلفزيون ولا شك أن شقيقتك ستضاعف هذا النجاح وستبدو رائعة».

عضت داليا على شفتيها، إذ أنها تعرف أن غاري يعتبر هيلين آكلة الماس».

سألته بسرعة:

«هل أنت خائف ومتوتر من سهرة الغد؟»

«قليلاً. لكني مرتاح الآن لأنك ستكونين حاضرة».

«أعدك بذلك».

عائلة سميث لا تحب مشاهدة التلفزيون كما هي العادة عند الأنكليز والعمة سوزان تفضل الانصراف إلى الخياطة أو الحياكة والعم هاري

يفضل القراءة و داليا تتهرب من كل هذه المنوعات التافهة.

لكن في هذا المساء، كان الثلاثة جالسين أمام الشاشة الصغيرة ليشاهدوا بيتر و هيلين. بدأت الأخبار بمشهد سرقة لمصرف معروف، ثم السياسة الأجنبية واضراب مصانع السيارات.

ثم قال المذيع في ابتسام:

«والآن، لنتكلم عن أشياء مفرحة، عن الندوة الصحفية لأحد كبار أقطاب الصناعة الشباب و سندريلا الرائعة التي سيتم زواجها نهار السبت... وها نحن في فندق سافوي».

تقلصت يدا داليا حول ركبتيها. المعلّق التلفزيوني اختفى وظهر على الشاشة بيتر، الممشوق القامة، الواثق من نفسه، في بذلته الغامقة. كان يدخن سيكارة بلا مبالاة ويرد على أسئلة الصحفيين في ما يتعلّق بالعرس وشهر العسل، وهيلين جالسة في مقعد، هادئة وجميلة، في لباس أنيق وتسريحة رائعة.

ولما سألها الصحفيون إذا كانت هي التي اختارت جزر الأنتيل لتمضية شهر العسل، ابتسمت وهي تنظر إلى خطيبها في فرح وقالت:

«لو تركت لبيتر مهام تنظيم رحلة شهر العسل، لكنا أمضيناه في قاعة المحاضرات حيث ينعقد المجلس الأداري».

وانتهى الفيلم مع بعض القهقهات. ثم ظهر المعلّق من جديد وقال:

«إنها روحانية بقدر ما هي جميلة».

كان العم هاري يضحك هو أيضاً ثم وقف وأقفل التلفزيون وقالت العمة سوزان:

«هيلين فتاة وقحة! كيف تقول أشياء كهذه أمام ألوف المشاهدين؟»

أجابها زوجها وهو يشد أذني داليا:

« بيتر استحسن هذا المزاح. وأنت، ما رأيك باختك الجميلة والروحانية، يا دميتي؟»

ابتسمت داليا وقالت:

«مسموح هيلين بأن تفعل ما تريده. إنها رائعة حقاً، ألا توافقانني. إنها واثقة من نفسها وتتمتع بساقين رائعتين وبابتسامة ساحرة؟»

«م .م .م. نعم. إنها رائعة. وغداً في المكتب، سيسخر مني كل الموظفين».

وبعد نصف ساعة وصل التجهان وجلبا معهما الانشراح والبهجة. كانت هيلين تأمل في أن تأتي في الوقت المحدد لتشاهد نفسها على الشاشة الصغيرة، لكن داليا أكدت لها أنها كانت رائعة.

«كان لملابسك الأنيقة صدى كبيراً والمعلّق كان متأثراً جداً».

سألها بيتر ضاحكاً:

«وأنا لا أستحق المديح؟»

قالت داليا في انفعال:

«كنت رائعاً كذلك».

نظر إليها بيتر وقال:

«يكفي أن يراك الانسان ليخشى أن يقسمك إلى جزئين. كيف تشعرين الآن، أيتها الفتاة الصغيرة؟»

«عادية تقريباً. شكراً على باقة الورد الرائعة».

«وحفلة الغد؟ هل تعتقدين أن في امكانك حضورها؟»

«الطبيب يقول نعم. تحدثت مع غاري على الهاتف ووعدته بالحضور».

«لا شك أنه جنّ من الفرح».

ابتسمت ووصلت عمتها تحمل صينية الشاي، فتوقف الحديث عن هذا

الموضوع. فرح بيتر باحتساء الشاي وتذوق الحلوى اللذيذة. وهيلين صعدت إلى غرفتها لتبدل ملابسها.

وداليا الجالسة في استرخاء على مقعد مريح واضعة ذراعيها حول ركبتيها، راحت تصغي إلى صوت بيتر الذي كان يتداول مع عمها هاري حديثاً حول مواضيع المهنة. ولفترة قصيرة، كانت قادرة على أن تنعم بوجوده وأن تتعذب في السر، وقالت لنفسها أنه من الخطأ أن تشعر بهذه الأحاسيس تجاه بيتر الذي سيصبح قريباً جداً زوج أختها، لكن كيف تمنع قلبها من الخفقان بسرعة كلما شاهدت بيتر؟ كيف في امكانها أن تقاوم رغباتها عندما تسمع صوته؟

ولمّا عادت هيلين مرتدية سروالاً أصفر وقميصاً أسود، نهض بيتر وقال:

«لدي أعمال كثيرة يجب انهاؤها قبل يوم السبت».

همست هيلين وهي تقترب منه:

«يا أرنبي المسكين، يجب أن أجعلك تنسى جميع هذه الأمور عندما تصبح لي وحدي في هذه الجزر المشمسة».

صوت هيلين الحميم والمداعب كان يعذب داليا. لا يمكنها أن تتحمل سماع أختها تتحدث عن شهر العسل، الذي ستتقاسمه مع بيتر...

قال بيتر وهو يلتفت إلى داليا وعلى وجهه إمارات البهجة:

«تصبحين على خير، يا عفريتة».

وبجهد كبير توصلت إلى الابتسام بهدوء وأخيراً فرغت الغرفة من وجوده الصاعق ووضعت العمة سوزان الوسائد مكانها على الأريكة.

عادت هيلين من المدخل وكانت تبدو أنها فقدت جزءاً من فرحها وغبطتها وطلبت من داليا أن توافيها إلى المطبخ ليتحدثا قليلاً.

«إني سعيدة لتحسن حالك، يا دجاجتي. وعليّ أن أفصح لك أني في حاجة إلى

دعمك يوم السبت».

رفعت داليا عينيها عن فنجان الشاي الذي شرعت في احتسائه وقالت:

«هذا لطف منك أن تقولي هذا الكلام يا هيلين».

«لم يسبق أن افترقنا وسيبدو الأمر غريباً ألاّ تكوني معي في مثل هذه المناسبة. أنت فتاة كتومة ومتحفظة لكنني اشتاق إليك عندما لا تكونين معي».

رفعت داليا فنجانها، ثم أعادت وضعه على الطاولة لأن يديها بدأتا ترتجفان فجأة. فقد تردد طوني مراراً إلى منزل آل سميث خلال الأسبوع وبدأت هيلين تخاف قليلاً. يوم السبت يقترب، وقريباً ستقوم بالخطوة النهائية، التي لا رجوع عنها، وبدت هيلين وكأنها عرفت ما يدور في ذهن داليا، فقالت:

«أنت فتاة غريبة. في رأيك أنا لا أتزوج، بل أبيع نفسي بشكل قانوني».

اعترفت داليا قائلة:

«أظن أن أفكاري بالية، لكن بالنسبة إليّ الحب قبل كل شيء آخر».

ابعدت هيلين صحنها وراحت تتلاعب بخاتم الخطبة الضخم وتقول:

«أحياناً أتمنى لو كنت أفكر مثلك، لكنني انسانة واقعية، لا عاطفية مثلك. لا يمكنني أن أكون سعيدة إذا لم أكن محاطة بالأشياء الفاخرة التي يمكن لرجل مثل بيتر أن يقدمها إليّ. لقد أصبحت هرة مدللة. وأنا في حاجة إلى الوسائد الطرية والكريما الشهية».

وفي كآبة نهضت وتوجهت نحو نافذة المطبخ وراحت تتأمل الليل الممطر. فجأة تقلصت وقالت:

«إن طوني مع العم هاري في المشتل! لم أكن على علم بوجوده، وأنت؟»

همست داليا التي لاحظت في صوتها رنة لرغبة دفينة:

«جاء يجلب لي مرهماً لشفتي المتشققتين»

قالت هيلين ويدها مشدودة على الستائر:
«لم أحدثه منذ دهور. يبدو نحيلاً وهو يرتدي هذه السترة العتيقة»
ران صمت ثم قالت هيلين:
«سأذهب لأحييه»
«لا، يا هيلين، دعيه وشأنه! لا... لا تفتحي جراحه من جديد».
استدارت هيلين بسرعة. كانت شاحبة وهي تقول:
«ألا تبالغين يا داليا».
«تعرفين أنك أذيته كثيراً. إذا رآك...»
وفي هذه اللحظة انفتح باب المطبخ ودخل طوني من الحديقة، شعره مشعث ومبلل من المطر. توقف مكانه عندما رأى هيلين. وانتبهت داليا في الحال لردة فعله ولرغبته في أن يمد لها ذراعيه. قال وهو يضع يده في جيبه ليسحب من داخله مرهماً ويمده إلى داليا:
«هذا هو المرهم الذي وعدتك به، يا داليا».
«شكراً طوني».
وبينما كانت تتناول المرهم من يده رأت نظرات أختها التي تشير إليها بضرورة الذهاب وتركها معه. لكن داليا تجاهلت الأمر وأضافت:
«هل تريد فنجان شاي، يا طوني؟ لقد حضرته لتوي».
كان جامداً مكانه، كأنه لم يسمعها، وعيناه مسحورتان ببريق الزمرد والماس على يد هيلين الموضوعة على حنجرتها. ران صمت طويل قطعته هيلين قائلة:
«إذا طال الصمت سيبرد الشاي. هل فقدت لسانك، يا طوني؟»
تأملها مطولاً، وجهها الجميل الساحر ثم بدا الألم في نظرته وقال:

«لساني... وقلبي. تصبحين على خير، يا داليا».

انغلق الباب وراءه وظلّت الشقيقتان صامتتين، جامدتين. أخيراً قالت داليا:

«إني متعبة وسأذهب إلى فراشي».

«داليا...»

«لا، لا تقولي شيئاً يا هيلين، يكفي أن أراك تعذبين طوني، الذي ليس في قلبه ذرة من الحقد».

«إنها... إنها طريقته في النظر إلى خاتم الخطبة».

«هل تنتظرين منه أن يتصرف مثل الجميع. إنه يحبك والحب لا يترك مكاناً في القلب ليفرح عندما يكون الانسان الذي يحب يتزوج من شخص آخر».

«تتكلّمين مثل بريد قراء مشاكل القلب! إذا كان طوني تعيساً، فهذا خطأه هو رفض أن يغادر لاوتون ولا أقبل من أي رجل أن يدعني سجينة هذه القرية المهجورة، لاوتون. لا، لا يمكنني أن أتحمّل البقاء هنا، يا داليا».

ذكّرتها داليا قائلة:

«لقد تحمّلت ذلك بعد وفاة والدينا، عندما جئنا إلى لاوتون لنعيش فيها. إن لاوتون قرية لا بأس بها».

«ومع الحب كل شيء يصبح جميلاً. وماذا يحدث عندما يزول الحب. إن الأسفار القمرية لا تدوم...»

«كم أصبحت وقحة، يا هيلين».

قالت هيلين وهي تشعل سيكارة بصورة آلية:

«إني أنظر إلى الحقيقة وجهاً لوجه، مثل بيتر هو وأنا نعرف أن الحب وجه عاطفي للرغبة...»

«هذا غير صحيح!»

«الأوقات التي قضيتها بين ذراعي غاري لم تعلّمك ماذا يريد الرجل حقاً من المرأة؟»

«إن الرغبة نصف الحب. الصداقة والحنان. والوف الطرق للتفاهم المشترك، القدرة على تحمل العذابات وتقاسمها، هذا هو الجزء الثاني، وعندما يندمج النصفان... هذا هو الزواج».

«برافو لك و لغاري. يبدو أن بينك وبينه مشروع خطبة. سيجن بيتر فرحاً. إن عواطفه تجاه العازف الموهوب وتجاهك هي أبوية كلياً».

قالت داليا وهي تضم بين يديها المرهم في شدة:

«سأذهب إلى النوم، أنا تعبة. تصبحين على خير يا هيلين».

« داليا! حاولي أن تفهمي...»

«إني أفهم جيداً. تريدين الماس والرولس رويس وليس الحب!»

٧ ـ الحريق في القلب!

وفي مساء اليوم التالي، توجه الجميع إلى برايتون في سيارة بيتر الليموزين، التي كان دونوفان يقودها مرتدياً بذلة السائق.

كانوا يأملون في الوصول إلى الحفلة الموسيقية قبل أن يبدأ العزف ليتسنى التحدث قليلاً مع غاري، ولكن بسبب حركة السير المزدحمة لم يصلوا إلى الصالة إلا قبل عشر دقائق، وهو الوقت الكافي لشراء البرنامج والجلوس في الأمكنة المخصصة لهم.

قالت هيلين بعدما ألقت نظرة على الصالة وهي تعي النظرات الموجهة إليها وإلى رفاقها:

«الحضور كثيرون. هذا ذكاء منك يا بيتر، أن تنظم حفلة غاري في تاريخ قريب لموعد زواجنا. أنت رجل اعلاني كبير، يا حبيبي».

«كم تدربت طويلاً لأصبح هكذا... آه، ها هو»

دخل غاري إلى المسرح، نحيفاً ورائعاً، وفي لباس أنيق. رفع نظره إلى مكان بيتر والآخرين. ابتسمت له داليا وقالت في صوت خفيض: حظ سعيد. هزّ رأسه من دون أن يلاحظ أحد ذلك، ثم اقترب من البيانو الكبير، الذي تلمع لمسانه تحت الاضاءة القوية. بعض الذين وصلوا متأخرين أخذوا امكنتهم وسط الزحمة. بعض الرجال سعلوا وأخيراً ران الصمت في الصالة وبدأ غاري

العزف.

وخلال القسم الأول من البرنامج، ظلّ الجمهور غير متحمس، والجو البارد ينذر بالفشل. إن غاري كونواي ليس سوى رجل يتيم وولي أمره هو من أكبر الأقطاب المعروفين ومليارديرٌ كبير، وهذه المشكلة إضافية أمام غاري ليظهر موهبته الموسيقية الرفيعة.

وقبل أن يبدأ غاري بعزف مقطوعة روبنشتاين الصعبة والرائعة، انحنى بيتر نحو داليا وهمس قائلاً:

«استرخي يا ابنتي الصغيرة. غاري يحافظ على هدوئه كله وهو يعرف تماماً أنه في نهاية السهرة، سيتهافت عليه كل هؤلاء الأشخاص الباردين ويطلبون منه إعادة عزف بعض المقطوعات».

والثقة التي يتحلى بها بيتر تجاه غاري تم تأكيدها بصورة أكيدة... إذ أنه بعد انتهاء عزف مقطوعة حورية الغاب ران صمت عام وتلته عاصفة من التصفيق والهتافات. وظلّ الجمهور يصفق مطالباً بإعادة العزف مرّة أخرى وذلك لمدة ربع ساعة، كما تنبأ بذلك بيتر قبل قليل.

وفي نهاية الحفل الموسيقي، أحيط غاري بمجموعة متحمسة من الناس الذين راحوا يهنئونه على نجاحه الباهر. أحد مديري شركة الاسطوانات دعا غاري إلى تناول الغداء معه في اليوم التالي ليتناقشا في امكان توقيع عقود عمل مهمة، إذ أنه أعجب كثيراً بمقطوعة حورية الغاب ويهتم بتسجيلها على اسطوانات.

وبعد نصف ساعة من التهليل تمكن غاري وفرقته من التخلص من الجمهور المتحمس ولقاء بيتر والمجموعة خارج الصالة. صعد الجميع في السيارات المخصصة لهم واعلن بيتر أن سكرتيره حجز للجميع طاولة كبيرة

عند دومينيكو أحد أكثر المطاعم أناقة في برايتون. لكنه أراد معرفة ما إذا كان بامكان داليا البقاء للعشاء للأحتفال بانتصار العازف الشاب.

قالت بعدما شعرت بذراع غاري يلف خصرها:

«لن تكتمل السهرة إلا إذا احتفلنا بنجاح غاري».

تدخلت العمة سوزان قلقة وقالت:

«نبهك طوني إلى عدم ارهاق نفسك، يا داليا».

حفيف ثوب حريري سُمع عندما وضعت هيلين على كتفيها معطف الفرو وراحت تقول:

«لا تقلقي كثيراً، يا عمتي. عشاء بسيط لن يؤذي طفلتنا الغالية».

فرحت داليا بتقطيب وجه شقيقتها المحمر انفعالاً. نعم، هذه هي هيلين! تتلقى ضربة على قلبها كلما ذكر اسم طوني أمامها.

عندما أطل بيتر والمجموعة على باب المطعم الرئيسي، أسرع مدير الفندق مضاعفاً انحناءاته تبجيلاً. ثم قادهم إلى طاولة كبيرة، تقع في مكان قرب حلبة الرقص، وسحب بطاقة المحجز عن الشرشف الرائع وفقش أصابعه فأسرع الخدم حاملين لائحة الطعام والشراب.

رأت داليا أن الناس وراء الطاولات المجاورة تعرفوا إلى بيتر وخطيبته. إذ كان في عيون الرجال دهشة واعجاب، خاصة عندما ساعد هيلين على خلع معطف الفرو وبدا عنقها الطويل وقصة فستانها الذي كان بلون الشعلة. والعمة سوزان كانت تتأمل صالة المطعم في نظرات مندهشة، لأن هذا المكان ليس في مستواها ولم تكن تتصوّر أن يتسنى لها ذات يوم المجيء إلى هنا وتناول أفخر المآكل والذها.

الاضاءة العامة رائعة. والشموع تتأرجح على كل طاولة. الفرو والفيزون

والتشيلة كانت موضوعة على مساند الكراسي. وفي حلبة الرقص بدت النساء مثل الفراشات الملونة تطير على بذلات الأزواج السموكينغ. الجو رائع للغاية.

العشاء كان لذيذاً ولا مجال للمناقشة في هذا المجال. والقهوة أعدت أمام الجميع. الكل أمام طاولته. وعبقت رائحة القرفة والقرنفل من الفناجين الصغيرة. وراح الجميع يستمتعون بالشراب اللذيذ ويستمعون إلى مغنية تعزف لها الأوركسترا أغنية عاطفية.

سحب بيتر من جيبه علبة السيجار وقدّم للرجال الذين رفضوها. ونظرت داليا في اعتناء إلى بيتر وهو يشعل سيكاره ويخرج الدخان من فمه في لذة كبيرة. فقالت له هيلين في حنق:

«بيتر! أريد أن أرقص!»

قال في إبتسامة هادئة:

«غاري سيأخذك للرقص بعد لحظة. لا أعتقد أن داليا ترغب في الرقص بعد هذه الوعكة الصحية التي تعرّضت لها الأسبوع الماضي».

قال غاري لداليا:

«هل اتعبتك الموسيقى التي عزفتها؟»

«أبداً. لقد عشقتها. لكن قدمي ما زالتا مترنحتين وأفضل الجلوس والنظر إليك وأنت تراقص هيلين».

قالت هيلين وهي تقف:

«هيا، تعال يا بيتهوفن! إني متوترة جداً وعاجزة عن البقاء هادئة ورجل الأعمال هذا يجب أن يدخن سيكاراً بعد العشاء وهذا يكفيه للتخلص مني».

اقتربا من حلبة الرقص وابتسمت داليا وهي ترى غاري يضم في خجل شقيقتها المتألقة.

قالت العمة سوزان لبيتر:

«لا شك في أنك سعيد جداً من أجل غاري. لقد عزف عزفاً رائعاً، أليس كذلك؟ وعشق الجميع مقطوعته حورية الغاب. شعرت بذلك قبل أن يبدأ الجمهور بالتصفيق».

أجابها بيتر موافقاً:

«إنها مقطوعة لطيفة ورائعة. إنها حورية الغاب الواقعة في الغرام وفي الوقت نفسه، فرحة وغامضة».

الدخان يتصاعد من سيكاره بكثافة وبينما كان يتكلم، كانت أصابع داليا متقلصة حول كأس شرابها في قوة.

عزفت الأوركسترا رقصة الفالس، فسحب العم غاري كرسيه ومدّ يده إلى زوجته وقال:

«إنه لحننا المفضل يا سوزان. تعالي يا حبيبتي، دعيني أدوخك في رقصة عاطفية».

وبقيت داليا وحدها مع بيتر، الذي قال وهو يغير مكانه ليجلس قربها:

«إنه لحن جميل. عاطفي لكنه مرح ولا يكسر الرأس كما تفعل الموسيقى الحديثة إنه لحن قديم جداً».

لم تجرؤ داليا على أن تضيف أن هذه الأغنية تدعى النشوة. لأنها إذا تلفظت بهذه الكلمة، فذلك يعني أنها تعبّر عما يجول في قلبها... السر المذنب، المعذب هو ما تشعره لوجوده قربها، منتشية بدخان سيكاره وبنظرة عينيه الخضراوين عندما يلتفت إليها.

أمرها قائلاً:

«احتسي شرابك. سيأخذ وجهك الشاحب لوناً جميلاً».

وبدأ الشراب يسيل في عروقها مثل الذهب الحارق ونظر بيتر اليها بشدة حتى جرعت آخر نقطة من شرابها وسألها:

«أتريدين كأساً أخرى؟»

قالت في استغراب وهي تضحك، وتمسك بذراعه لتخفضها:

«آه، لا، يا بيتر. كلما شربت أبدأ بالضحك بصورة غبية. ولا أعتقد أنك تحب ذلك في الفتيات».

راح يتأملها ضاحكاً ويقول:

«لست سوى طفلة، يا داليا. وبفستانك الأبيض وجفنيك المثقلتين، تبدين مثل فتاة صغيرة تنتظر من عمها أن يقودها إلى دور الحضانة».

اغتاظت داليا فقالت:

«طفلة؟ إني أراهن بأنني في سن هذه المرأة الشقراء ذات الفستان الأسود الجالسة في المقعد قربنا».

أدار وجهه في اتجاه الفتاة الشقراء. كان يرافقها رجل يكبرها سناً، لكنه ثري كبير، وانتصبت أمام نظرات بيتر وراحت تتأمل بدورها عرض كتفيه وابتسمت له كأنها تقول: م.م.م. يعجبني شكلك وعرض كتفيك.

قطّب بيتر حاجبيه وعندما التفت إلى داليا لاحظت برود عينيه اللامعتين. فشعرت بصدمة كبيرة. أحست بأن بيتر يقارن نفسه برفيق هذه الفتاة الشقراء، كأنه بدأ يرى أن هيلين ترغب به ليس من أجله، بل من أجل اللهو والترف والمال.

قال في صوت خفيض:

« داليا، أعرف لماذا تبدين تعيسة».

«صحيح؟»

نظرت إليه ورأت في عينيه لطفاً ظاهراً. فأمسك يدها وقال:

«أنت شابة جداً... وتودين معرفة كيف أستطيع الزواج من امرأة لا تحبني من أجل شخصي... آه، لماذا تنتفضين، يا ابنتي الصغيرة؟ هل تعتقدين أني لا أعرف ذلك. داليا، إن شقيقتك صريحة معي إلى آخر الحدود. لم تهمس في أذني كلمات الحب الكاذبة... وهذا يعني أنها ليست مثل هذه الشقراء ذات الفستان الأسود، التي لا تفكر إلاّ برغبة الحصول على ما تريد من الرجل قبل أن تختار رجلاً آخر. إن مثل هؤلاء النساء ينجحن في مهنة الاقتناء والتملك. إنما هيلين تريد أن تنجح في أن تكون زوجة رجل أعمال كبير وميليارديراً».

ابتسم بيتر وشدّ يده السمراء على يد داليا وقال:

«ربما ليس هناك أي شيء عاطفي في علاقتنا، لكن الزمن جعلني قاسياً وبالتالي لست نادماً على شيء. هيلين فتاة رائعة، مرحة، تحب ارتداء الفرو وتتألق أمام الأشخاص المهمين الذين أعاشرهم واستقبلهم في منزلي».

تقلصت أصابعه وضغط في ألم على أصابع داليا، وأضاف:

« هيلين وأنا انسانان واقعيان وطموحان. الأحلام والشعور والحب هي للذين يملكون قلباً شاباً ونضراً، مثل غاري ومثلك».

القلوب الشابة والنضرة!

داليا تثور. إنها تشعر أنها لن تظل شابة، بعد الزواج. لا شك أنه اكتشف في عينيها بعض الشكوك التي تقتحم قلبها، إذ قال في حزن وفي لهجة ايرلندية واضحة:

«هذا لطف منك أن تقلقي على انسان وعر مثلي».

«أنت لست وعراً!»

ابتسم بسخرية وقال:

«الحياة مدرسة والقدرة على استيعاب الثقافة تحدث العجائب. لكن مرآتي تقول لي أني كنت في مدرسة المحنة حيث تعلمت أشياء كثيرة... وخاصة كيفية الوصول إلى النجاح وكيفية عدم الافساح أمام الآخرين في مجال إيذائي».

أخيراً أفلت بيتر يد داليا وراح ينظر إلى الراقصين، ثم انحنى نحوها مبتسماً وقال:

«هل تحبين الأسرار؟»

«طبعاً يا بيتر إني امرأة ولو أصررت على أن تدعوني بطفلة».

«إذن، علمت من مصادر أكيدة ، أن أصدقاءك العجائز الذين يقطنون المنازل القديمة لن يغادروها بعد الآن».

نظرت إليه في اندهاش وقالت:

« بيتر هذا مستحيل».

«صدق الفرنسيون عندما قالوا مستحيل كلمة غير موجودة».

كانت عيناه الخضراوان تلمعان كما يلمع الزجاج في الشمس. ورغبت في القفز فرحاً فقالت:

«أرى في عينيك أنك فعلت شيئاً ما في هذا الشأن».

همس وهو يأخذ نفساً من سيكاره:

«عندك عينان خطيرتان!»

«لا تناكدني! ماذا فعلت حتى غيّر المجلس البلدي رأيه؟»

«اشتريت الأرض المعروضة للبيع، ثم بعتها من جديد إلى البلدية. خسرت المال. شرط أن تقبل البلدية أن تبيعني مكان المنازل القديمة حيث يعيش اصدقاؤك العجزة. وهكذا يمكن للسكان أن يظلوا في منازلهم حتى نهاية حياتهم، وبعد ذلك ابني معملاً هناك. الناس تهجر لندن ويجب إيجاد عمل في الضواحي. وهذه

الصفقة تبدو رابحة على المدى البعيد».

«آه، يا بيترا»

كان قلبها يفيض حباً لأنها تعرف أنه فعل ذلك من أجل ارضائها.

«كنت قلقة على هؤلاء العجزة. وأنت فعلت ما في وسعك لتفادي الكارثة. وإني أشكرك على ذلك، إلى جانب ما تعتبره بأنك رجل قاس. أنت انسان كريم جداً».

«قلت لك انني سأتوصل يوماً إلى بناء معمل هناك».

كان يتكلم بخفة، إنه رجل قاس وحذر ونبيه، وعلى رأس امبراطورية تجارية واسعة، ومع ذلك فإنه رجل يتمتع ببريق عاطفي رائع...

أعلنت في اقتناع:

«لم تنج المنازل القديمة من أجل أسباب اقتصادية أو تجارية».

«لنقل أني انسان وعر مثل الماس الطبيعي المصقول من جهة واحدة. لكن صدقيني يا داليا، عشت سنوات عديدة لم أكن أبحث فيها إلا عن المال».

«إني قادرة على فهم ذلك».

قال وهو ينقر بأصابعه على بذلته السموكينغ الرائعة:

«أنا الشيطان الايرلندي الأنيق الذي أزرار قميصه من العقيق اللماع، السوداء مثل شعره، والذي يغلي طموحاً؟ لقد حصلت على كل ما أريده ولا أتضرر ان أنا رميت الفتات إلى الآخرين إذا كان ذلك يساعدهم».

« بيترا لا تكن وقحاً».

«إني وقح، يا داليا، وأرجو تصديق ذلك. في إمكاني أن أفعل أشياء كثيرة وأجازف بأمور تؤدي بهذا الشيطان الايرلندي إلى أن ينتحب في المال».

حفيف الحرير وراء داليا اندمج مع ضحكة اختها اللؤلؤية التي قالت:

«النجاح والشراب أثرا على قدميك يا غاري. لم أعد قادرة على المزيد من

الرقص».

التفتت داليا نحو غاري ورأته محقوناً وشعره مشعث... لكن قلبها كان ينبض للولد المتعطش، الذي ذهب وحده إلى أرض بعيدة عندما كانت ما تزال طفلة. هذا الصبي، وهي متأكدة من ذلك، ما يزال موجوداً في استمرار وراء درع الرجل الجالس قربها.

قال بيتر وهو ينهض واقفاً:

«لنأخذ هذا الصبي المتعب إلى فراشه».

كانت السماء تلمع بالنجوم عندما جلست داليا في سيارة بيتر. كان غاري عائداً في سيارته الصغيرة وقد حياها من نافذة السيارة قائلاً:

«سأراك مساء الغد، في جلسة التمارين الخاصة بحفل الزواج».

تناول يدها ليضعها على فمه، لكنها أفلتتها بحركة انفعالية فقال غاري:

«فتاة هاربة. ماذا أفعل بك؟»

«لا تقد بسرعة يا غاري. أعرف أنك تحب القيادة بسرعة عندما تكون وحدك».

«ستحزنين إذا أصابني مكروه؟»

لكنه لم ينتظر الرد. صرخ مساء الخير للآخرين وركض إلى سيارته ليقلع بها كالاعصار.

ولما توقفت سيارة بيتر أمام منزل آل سميث، كانت داليا نصف نائمة. لكنها تشجعت قليلاً عندما حملتها الذراعان القويتان. فتركته يحملها وأرخت رأسها على كتفه إلى أن وضعها على أريكة قاعة الاستقبال فهمست:

«شكراً، يا عمي».

وفي الغد قامت داليا بزيارة لأصدقائها العجزة في المنازل القديمة التي نجت من الردم. وفي صباح اليوم نفسه أعلمهم المجلس البلدي أن المشروع ألغي

فاستقبلوا الخبر بفرح وغبطة وأدركوا أن داليا هي المسؤولة عن هذه المعجزة.

كان الطقس رائعاً وشربت داليا الليموناضة في حديقة روزي الصغيرة. العصافير على أنواعها تحلق في السماء المشمسة.

قالت روزي:

«لماذا قام هذ الايرلندي الكبير بهذا كله من أجل حفنة عجزة، هم على شفير النهاية؟»

أجابت داليا مبتسمة:

«لأنه يحب الناس».

«هذا لطف منه. لكن معظم الرجال يذوبون كالزبدة بين يدي فتاة جميلة. لا تقولي انك لم تفعلي شيئاً كي يشتري هذه المنازل من المجلس البلدي؟»

«كل ما فعلته أني حدثته عن الموضوع. ولم يكن يريد أن يقول لي انه الملاك الجديد إلاّ بعد أن أصريت على ذلك. إنه لا يفاخر أبداً بالعمل الجيد الذي يقوم به».

«يقال ان الكبار هم أقل أنانية من الصغار... وهذا الرجل كبير النفس. والآن ألا تريدين تذوق قطعة من الحلوى؟ أنت نحيلة مثل القضيب! أنظري إلى ذراعيك وساقيك!»

«لم يسبق أن كنت سمينة، يا روزي. إنني أشبه عمي الذي هو نحيل وعصبي».

«أنت تتعذبين لأن هيلين تتزوج وستعيش في بحبوحة ورخاء وترف كل حياتها. إن قلبها من حجر!»

« روزي...»

«لا تدافعي عنها! وأعتقد أن هذا الرجل الايرلندي يتصوّر أنها المرأة المناسبة،

أنيقة وباردة، ووقحة!»

«نعم، إن هيلين هي امرأته المناسبة. ومن زمان اتخذت قراراً بأن تصبح غنية».

«بينما أنت، تحبين من أجل الحب. أليس ما أقوله صحيحاً؟ هذه هي الحياة. لكن أنت فتاة شابة، يا جميلتي. بعد مضي أشهر لن تشعري بالعذاب نفسه».

تحاشت داليا نظرات روزي وراحت تتحدث عن الحفل الموسيقي، الذي عزف فيه غاري وعن المطعم الضخم حيث تناول الجميع العشاء مباشرة بعد السهرة. كانت روزي تصغي إليها وعلى رأسها قبعة قديمة من القش، ثم من نافذة المطبخ المفتوحة سمعت الساعة تدق خمس دقات، فانتفضت داليا واقفة وقالت:

«عليّ أن أذهب في الحال. التمارين لحفلة العرس ستجري مساء اليوم».

انحنت لتقبل الهر المسترخي على العشب وقالت له:

«أفرح يا هري الجميل. سنظل هنا كما تتمنى».

قالت روزي:

«آه، إنه يعرف ذلك تماماً».

رافقت روزي داليا إلى باب الحديقة وأمسكت بيديها النحيلتين ونظرت إلى وجهها الصغير الشاحب وقالت:

«اسمعيني، يا جميلتي، ما تشعرين به تجاه بيتر شيريدان، هو الافتتان والسحر، وذلك طبيعي في سنك، الذي لم يبلغ بعد. اخترت أن تعشقيه بدلاً من أن تعشقي مغنياً مشهوراً أو ممثلاً موهوباً».

قالت داليا:

«نعم. سأراك في العرس. لا تنسي، سيتم في الثانية تماماً».

عادت داليا إلى الساحة لتستقل الباص، وفي طريقها عرجت على مكتبة

كبيرة، بعد أن لفت انتباهها كتاب موجود في الواجهة. إنه كتاب تاريخي يعجب عمها هاري. فقررت أن تدخل بسرعة لشرائه قبل أن يقفل المحل أبوابه.

صعدت داليا إلى الطابق الرابع واضطرت إلى أن تقوم بذلك مشياً لأن المصعد معطل. وكان في داخل المحل عدد كبير من الناس، وخاصة في الجناح المخصص للكتب التاريخية. وبعد أن اشترت داليا الكتاب، راحت تتفحص القصص الروائية الجديدة. إحدى البائعات كانت تنظر إلى ساعتها باستمرار. كانت الخامسة والدقيقة العشرين وهي في عجلة لأن تتخلص من الزبائن المحتشدين حولها.

فجأة، ارتفع صراخ امرأة، أت من غرفة التلفزيون.

«النار! النار!»

التفتت داليا بسرعة إلى البائعة التي كانت جامدة مكانها، كأنها تقول لقد سمعت خطأ.

ثم سمعت الصراخ والخطوات المستعجلة ونداء:

«النار! النار!»

كان المصعد معطلاً، فأسرع الناس إلى السلالم وراحوا يتدفقون، في ذعر وشعرت داليا بأنها ستضيع بين أمواج الناس.

هبطت داليا السلالم التي لم تكن تراها، وهي تتعثر، وتترنح وتتهاوى وتدفش وتسحب وتتلقى ضربات على كواحلها، على اضلاعها، وبدأ عقلها يضج بفكرة واحدة الكابوس... البقاء واقفة... عدم السقوط وإلاّ داسوها.

فجأة تعثرت امرأة واقفة أمام داليا وفقدت توازنها. وراحت تصرخ في قوة، فمدت لها داليا ذراعها لتلتقطها من معطفها كي تمنعها من السقوط.

أطل الطابق الأرضي، فأسرع الجمهور في الهبوط مثل موجة كبيرة تفقش على

الشاطئ.. وفي هذه اللحظات شعرت داليا بأنها بدأت تفقد توازنها. فسقطت على أمواج الأقدام مع المرأة التي أرادت مساعدتها... ثم اختفى الرعب والألم عندما داس حذاء على صدغيها. وأغرقها في الظلام.

لم تشعر أن جسمها النحيل نقل خارج المبنى على حمالة سيارة الاسعاف. وفوقها غطاء أحمر وابتعدت السيارة عن الجماهير المزدحمة وسيارات الاطفاء ولهيب النار.

أسرعت سيارة الاسعاف مطلقة زماميرها إلى مستشفى لاوتون العام.

٨ ـ سقطة الخلاص!

أشعة شمس المغيب تتسلل إلى غرفة الانتظار في الجناح التابع لمستشفى لاوتون، ووميضها الأحمر يلون دخان السيكارة التي تغلف رأس الرجل الأسمر الواقف أمام النافذة. تغضنَ جبينه لدى سماعه غناء طير حاد. وفي الوقت نفسه سمع في الممر الأنابيب المحملة على عربة تجرها إحدى الممرضات.

«إلى متى سنظل ننتظر؟»

نظرت سوزان سميث إلى زوجها وعيناها مليئتان بالحسرة والضيق، فتناول يدها بحنان وقال:

«يجب أن نتحلى بالصبر، يا حبيبتي. إن داليا بين يدي الدكتور وارد وستيوري وهو من أهم جراحي المنطقة».

أزاح بيتر رأسه فجأة عن النافذة في الوقت الذي كانت الشمس تغيب فيه وقال:

«أنا ذاهب إلى كافيتيريا المستشفى لأحتسي فنجان شاي. وتذكرت أن عليّ الاتصال هاتفيا بالكنيسة لأعلم الكاهن أنه لن يكون هنا تمارين زواج».

توجه إلى الباب وشدّ على كتفي غاري في طريقه. وهيلين التي كانت جالسة أمام الطاولة، رفعت عينيها الكئيبتين نحو بيتر، فقال لها:

«سأعود بعد ربع ساعة».

أغلق الباب وراءه وهزت قشعريرة باردة جديدة هيلين. حوادث كثيرة ومرعبة تحصل كل يوم، والإنسان يستطيع تحملها إذا لم تكن حصلت لأشخاص نحبهم. أشخاص مثل داليا، الطيبة والصادقة.

وقليلون هم الذين يحاولون مثل داليا، أن يكونوا طيبين وودعاء بقدر الإمكان. إنها إنسانة طيبة، وغير مملة، ناعمة من دون أن تكون متكلفة، سريعة العطف في بشرتها الناعمة وعظمها الدقيق. والآن، هيلين ترتعش أيضاً، ولحم شفتيها الطري أصيب برضوض من الأرجل الهاربة، وعيناها الجميلتان، يمكنان ألا تفتحا أبداً لتبتسما للذين تحبهم.

وعندما عاد بيتر إلى قاعة الانتظار حاملاً صينية مليئة بفناجين الشاي الساخن، كان قد وصل قبله طوني غريغ بعد أن أوكل مهام عيادته إلى طبيب آخر من أصدقائه. كان جالساً أمام الطاولة قرب هيلين، يفرك لها يديها ويحدثها في صوت منخفض. كانت قد استرخت قليلاً، لكن الارتعاشات المؤلمة تهزها من وقت إلى آخر. خلع طوني فجأة سترته ووضعها على كتفي هيلين ونصحها عندما وضعت رأسها على ذراعه:

«ابكي، لا تحبسي دموعك، صحيح... ستشعرين بعد ذلك بتحسن».

قدم بيتر فنجان شاي إلى طوني والتقت نظراتهما. كان وجه بيتر شاحباً وعيناه ثاقبتين وعلى فمه إشارات عصبية تنبض بقوة. ترك هيلين تبكيها في ذراع الطبيب الشاب، ثم التفت إلى العمة سوزان وقدم إليها فنجان شاي، فقالت:

«شكراً، يا بيتر».

كانت تلفظ الاسم للمرة الأولى ومن دون تردد. وأضافت:

«هل اتصلت بالقسيس؟ هل فهم... نعم، طبعاً، إنه يعرف داليا، إذ أنها تزور

الكنيسة معنا كل نهار أحد... لكن، يا لهذه الليلة الحزينة، ليلة العرس، لك و
وهيلين.

«طلبت من الكاهن أن يعلم الوصيفات.. أن التمارين الغيت».

التردد في الكلمات الأخيرة لفتت انتباه هاري سميث، فراح يتفحص بيتر في فضول ويلاحظ علامات الحزن في وجهه ونظراته المؤلمة. ألقى نظرة إلى هيلين وإلى طوني وفهم ما يجري.

قالت العمة سوزان في صوت مليء بالخيبة:

«لماذا يجب أن يضرب الحزن أولئك الذين لا يستحقونه؟ سيتحطم قلبنا إذا فقدنا داليا... كانت دائماً الأنسانة الطيبة... المتواضعة، الهادئة...».

همس بيتر في انفعال:

«أعرف، يا سيدة سميث. لقد ادركت أي نوع من الفتيات كانت داليا، وذلك عندما رفعتها عن الثلج أمام عجلات سيارتي».

بعد نصف ساعة جاء الجراح وأعلن ان داليا تحملت العملية الجراحية لكنه رفع يده عندما اطلقت العمة سوزان صرخة فرح وقال:

«ما زالت في حالة خطرة. انها تعاني من جرح في العمود الفقري، ولا يمكننا في الوقت الحاضر ان نفعل شيئاً في هذا الشأن. هناك اشارات، يا سيدة سميث، تدل على ان داليا سبق وسقطت مما أدى الى اصابتها بجرح في ظهرها. هل في امكانك تأكيد ذلك؟»

«نعم، ان ما تقوله صحيح».

أمسكت العمة سوزان بيدي زوجها وتخلصت هيلين بين ذراعي طوني. فنظر بيتر من النافذة ونهض غاري واقفاً فقالت العمة سوزان:

«سقطت داليا من الشجرة في حديقة منزلها. وهذا يعود إلى سنة أو سنتين.

كانت تلعب مع كلب الدكتور غريغ الذي تسلق الشجرة ليطارد هراً في أعلاها. تسلقت داليا بدورها الشجرة لتساعده على النزول، فانكسر غصن الشجرة وسقطت. شعرت بآلام في ظهرها لكن في هذا الوقت لم نكن نتصور انها... انها أصيبت بجراح جدية».

قال الطبيب وهو يحك ذقنه:

«نعم هم... نعم. لا شك أن الجرح حصل في ذلك الوقت، أي منذ أكثر من سنة. نعم، أصيبت بجرح خفيف لحظة سقوطها، لكن الجرح تمدد شهراً بعد شهر على ما أظن. ليس من عادة داليا أن تتذمر، لكني أعتقد أنه منذ ستة أشهر وهي تتعرض لزلات وحوادث سقوط صغيرة بل عديدة لم تخبركم عنها، لأنها لم تبال بمصيبتها، إذ أنها كانت تعتقد أنها تعثرت بشيء. لم تدرك أهمية أنعدام التناسق في مشيتها معتبرة ما يحدث لها أنه عائد إلى أخطاء سن المراهقة».

توقف وارد وستبوري عن الكلام وراح ينظر إلى كل إنسان بدوره من الموجودين في حالة الانتظار، ثم أضاف:

«منذ سنة وأكثر كانت هذه الفتاة معرضة إلى خطر السقوط في المناسبات السيئة... وحصل ذلك اليوم عندما اندلع الحريق في المحل الذي كانت تزوره لشراء بعض الأشياء».

ران صمت وراح كل واحد يتخيل داليا وهي تتخبط وحدها بين الناس المصابين بالهلع... ربما وعت للمرة الأولى حالتها الصحية وضعف ساقيها... وهي تشعر بهما تخوران...

نهضت هيلين فجأة واقتربت من الجراح وعيناها متوسلتان ووجهها معذب، قلقة على سواها للمرة الأولى في حياتها وقالت:

«يا دكتور أختي ستشفى أليس كذلك. يجب أن تنجو إذا حصل لها شيء ما.

فأنني لن أتحمله مدى الحياة»

كان صمت الجراح معبراً بما فيه الكفاية. على داليا أن تجاهد طويلاً لتتخلص من ذيول هذا الجرح في سلسلة ظهرها. أخيراً قال:

«سنفعل كل ما في وسعنا».

«أرجوك، دعني أراها».

«عليّ أن أنبهك أنها...»

توسلت هيلين في إصرار يثير الشفقة:

«لن أزعجها. أريد... أريد فقط أن أراها».

«حسناً. ويمكنك يا سيدة سميث أن تأتي معها».

رافقتها إلى غرفة خاصة حيث كانت داليا، شعرها ملتصق بجبينها من شدة الحرارة. عيناها مغمضتان، ورموش عينيها الطويلة جامدة فوق خديها الشاحبتين. كدمة زرقاء ظاهرة على صدغها الأيسر.

تأملت هيلين برهة شقيقتها، ثم أجهشت في البكاء. في هذه اللحظة، كل مخطط حياتها بدأ يتغير، ويأخذ شكلاً جديداً.

خرجت من غرفة داليا مترنحة وفي الممر كان رجل في انتظارها. أخذها بين ذراعيه فسقطت منها والدموع تهطل من عينيها. كان يهمس بأسمها من غير توقف ونور الممر يلمع في شعره الأشقر.

ناحت في صوت مهشم:

«ماذا سأفعل».

«ستأتين معي، يا حبيبتي. يجب أن نتحدث».

توجه بها نحو السلالم وساعدها على الهبوط وأخرجها إلى حديقة المستشفى ولم يلاحظا الشبح الطويل ولا نور السيكارة في ظل شجرة. على بعد خطوات قليلة

من المقعد حيث جلسا.

قال طوني وهو يمسكها بيديها الاثنين:

«هيلين، أعرف أن الوقت غير مناسب و داليا تتخبط بين الحياة والموت، لكن لم يبق أمامنا الوقت الكافي لنضع النقاط على الحروف. هل في أمكانك القول أنك لا تحبينني. هل في أمكانك الزواج من بيتر شيريدان والانفصال عني طوال أيام حياتك. هل في أمكانك القيام بذلك، يا هيلين».

رفعت وجهها الشاحب نحوه، قلقة، ضائعة. فأصر على القول

«قولي، إنك لا تحبينني، وأنك لم يسبق أن أحببتني».

«بلى... آه، يا إلهي، أنت تعرف جيداً أني عاجزة عن ذلك! لكن الحب لا شأن له في زواجي...»

«أنت تتزوجين بيتر شيريدان من أجل ماله، وبرودة أعصابه».

خفضت هيلين رأسها وقالت:

«لم يسبق أن طلب مني أن أحبه...»

«هل يعرف أنك تحبينني، أنا الطبيب الريفي الصغير غير القادر على تقديم حياة الترف التي تتصورين أنك عاجزة عن الأستغناء عنها».

«كلا، طبعاً... لكن كل شيء تم تدبيره، يا طوني الزواج، رحلة شهر العسل... لا يمكنني أن أغير رأيي الآن. لا سيقتلني إذا فعلت ذلك».

«لن أقتل أحداً من أجلك، يا هيلين، أبداً».

ظهر بيتر من الظل ونهضت هيلين وأطلقت صرخة. نظرا إلى بعضهما البعض فترة طويلة، ثم أضاف يقول في جدية:

«صحيح، أني لم أطلب منك أن تحبينني. كنا ننوي تحقيق اتحاد، جمالك وثروتي لكن كثيراً ما يلغى هذا الأتحاد ليلة الزواج».

«تريد أن تقول... أن كل شيء انتهى بيننا».

«أنت تريدين ذلك، وأنا أيضاً».

«آسفة أن كنت سببت لك الأذى والألم، يا بيتر».

ألقت نظرة إلى طوني الذي كان يراقبها، ويداه في جيبي سرواله. ثم التفتت إلى بيتر الذي كان ينظر إليها في حزن ومن دون غضب.

«آه، بيتر، أنت رجل كبير قادر على أن تقطف النجوم من السماء لتقدمها إلى المرأة، لقد نمونا معاً. لكن هذا لا يكفي، أليس كذلك. أعتقد أني بدأت أفهم ذلك، عندما كنت قرب سرير داليا، عندما رأيتها تكافح في سبيل الحياة التي لم يسبق أن دنستها بالأنانية أبداً... قالت لي، منذ أسابيع، إنه ينبغي ألا أتزوجك إذا كنت ما أزال أحب طوني، وأنا ما أزال أحبه! أحببته قبل أن ألتقيك يا بيتر، وهو الرجل الذي سأتزوجه».

«حسناً، ليكن ما تريدين».

ثم التفت إلى طوني وقال:

«تزوجها، قد لا يتسنى لك الفرصة ثانية».

خلعت هيلين خاتم الخطبة وقدمته إلى بيتر والدمع يتساقط بقوة من عينيها.

«دعيه معك يا هيلين، احتفظي بكل ما قدمته إليك. ستمضي سنوات طويلة قبل أن يتمكن زوجك الطبيب الشاب من شراء معطف فرو لك. ويخيل لي إنك ستجدين صعوبة في الاستغناء عن هذا النوع من الأشياء».

قال هذا ثم أطلق ساقيه للريح وابتعد، مثل عملاق فقد قواه.

الأيام التالية كانت كئيبة لعائلة داليا وأصدقائها. علقت الصحف على فسخ خطبة هيلين، لكن في الأوساط المحلية أنصب الاهتمام بكامله على حالة

داليا. لديها عدد كبير من الأصدقاء، تعرفت إليهم بينما كانت تعمل في مركز الضمان الاجتماعي.

وصلت إلى المستشفى باقات الزهر العديدة، ورسائل التعاطف، لكن داليا لم تكن تعي هذه الأمور إنها تحلق في الأمكنة الغامضة التي يعرفها الأطباء جيداً ولكنهم عاجزون عن الدخول إلى هناك، حيث لا شيء حقيقي أو واقعي، وشبيه بما هو بين الحياة والموت.

وخلال خمسة أيام وست ليالي، ظلت روح الفتاة الشجاعة متعلقة بجسمها المسحوق، وفي اليوم السادس، بدت الحياة تنفلت من قبضتها ورآها الأطباء والممرضات تغرق في غيبوبة عميقة.

وقبل منتصف الليل، رنّ الهاتف في منزل آل سميث، إذ طلبت منهم إدارة المستشفى الحضور في الحال.

ولدى وصولهم، وجدوا داليا قد استردّت وعيها لكنها كانت في ضعف رهيب، وشحوب وبياض بلون شراشف سريرها. حاولت العمة أن تكبت دموعها لكنها انهمرت على وجه زوجها. وأمسكت هيلين بيد أختها الشفافة، ومن دون جهد، انغلقت الأصابع على أصابع داليا والعينان الشاحبتان بدأتا تبحثان في الضوء الخافت على وجه محبوب. ثم انخفضتا على يد هيلين، فهمست داليا:

«أين خاتم الخطبة».

«ستتزوج من طوني، يا حبيبتي. هل هذا ما تريدينه».

«طوني... ولن تتزوجين من بيتر».

«كلا...».

الدموع غطت عيني هيلين التي كانت تجد صعوبة كبيرة في الكلام، لكنها قالت:

«معك حق، يا داليا. لم أحبه أبداً ولذلك لن أتزوجه».

« بيتر المسكين.. هذا الرجل الوحيد».

أغمضت داليا عينيها، وبدأت تغيب عن هذه الغرفة وعن كل ما يحيط بها. كانت بالكاد تسمع نحيباً يختلط بصوت آخر وذكرى سيارة متوجهة نحوها. وأصبح نور الضوء بجانب سريرها، ضوئين سيارة، ثم الغطاء الأبيض وبساط الثلج، حيث سقطت داليا.

٩ ـ الحب أنقذها

«أعتقد أنها تستعيد وعيها، يا دكتور».

انحنى الرجل في اللباس الأبيض فوق داليا بينما كانت تستعيد وعيها. وكانت أشعة الشمس تضيء رأس الممرضة المعتمرة قبعة بيضاء، والواقفة في الجهة الثانية من السرير.

ظلت صورة الطبيب فترة مشوشة، غير واضحة، وشيئاً فشيئاً توضحت التفاصيل وتعرفت داليا إلى الوجه الذي سبق وشاهدته في شكل متقطع خلال أيام وليالي متواصلة.

قال الطبيب:

«إذن، يمكننا القول انك نمت جيداً».

«هل الوقت صباحاً..؟»

«صباح جميل ومشمس، الرابع من آب / أغسطس».

رددت وراءه:

«الرابع من آب / أغسطس».

ثم أزاحت نظرها عنه ونظرت صوب نافذة الغرفة حيث كانت العصافير تزقزق وراءها، وأضافت تقول:

«ما أجمل زقزقة العصافير..»

أعلمها الجراح قائلاً:

«تحت النافذة، شجرة صنوبر من أصل اسكتلندي، وفيها أعشاش عصافير كثيرة».

«منذ طفولتي وأنا أحب العصافير. لقد حلمت حلماً غريباً. هذه الليلة. جاء صديق ليزورني. كان الثلج يتساقط..»

سألها الدكتور وستبوري وهو يبتسم:

«هل هو الحبيب؟»

«آه، لا. لم... لم أكن تلك المرأة التي أحبها».

وفي الأيام التالية تحسّنت صحة داليا وتوطدت عرى الصداقة بينها وبين الدكتور وارد وستبوري. إنه اسكتلندي خجول، لكنه جراح ناجح، فقد أوكلها إلى الممرضة موران، المدلكة الطبية المشهورة، وهي أميركية الجنسية، شابة، تقوم بتدريب خاص مدته سنتان في المستشفيات البريطانية. كانت مرحة ودائماً في مزاج طيب، نضرة، شقراء، ذات صوت مبحوح، تحب المزاح والتسلية بشكل دائم.

ومهمة غير يسيدا موران أن تقوّي عضلات ساقي داليا، تلك القوة التي فقدتها خلال العملية الجراحية الدقيقة التي أجريت لها في سلسلة الظهر، وقد شرح الدكتور وستبوري لداليا أن عليها أن تتحلّ بالصبر الطويل لأنها في حاجة إلى تدليك وتمارين قبل أن تتمكن من المشي. والتمارين اليومية التي ستقوم بها بواسطة المدلكة الطبية يجب أن تستمر إلى ما بعد مغادرتها المستشفى.

واقترب موعد الذهاب إلى المنزل... وهذا ما كانت تتمناه داليا في شدة... لكن هناك ظل وحيد لم يبتعد عن أفكار داليا...

يوم الأربعاء، وضعتها الممرضة في كرسي نقال وأخرجتها إلى الحديقة لتتحدث

مع شقيقتها، تحت نور الشمس الساطعة. كانت الفترة بعد الظهر وكان الطقس رائعاً ودافئاً برغم أن أيلول / سبتمبر هو شهر بارد إجمالاً.

همست داليا:

«لا يمكنني التصديق بأني أمضيت وقتاً طويلاً في المستشفى. كأن أشياء عديدة قد حدثت...»

تأملت داليا أختها بحنان، كانت تضع بقربها سلة كبيرة وترتدي تنورة مكسرة بيضاء وسترة حمراء. شعرها الأسود اللماع مرفوع بشكل كعكة إلى الوراء، وخاتم ذهبي رفيع ومحبس سوليتير صغير يلمعان في يدها اليسرى، وهما يختلفان كلياً عن الزمردة الضخمة التي كانت تلمع كلما حرّكت هيلين يدها.

تبعت هيلين نظرات أختها الصغيرة وداعبت في حنان حبة الماس الصغيرة في الخاتم الذي أهداه طوني إليها وقالت:

«نعم، هناك أشياء كثيرة حصلت. كنت أعيش في جحيم ثم وجدت جنة لم أكن أمل في اكتشافها هنا في لاوتون».

قالت داليا وهي تنظر إلى جمال أختها المختلف، جمال امرأة عاشقة ومعشوقة:

«إن زواجك من طوني يليق بك كثيراً».

في هذه اللحظة مرّت سحابة أمام الشمس وارتعشت داليا، وقلّصت يديها على الغطاء الموضوع على ركبتيها. وتساءلت فيما إذا كانت ذكرى بيتر تعود من وقت إلى آخر لتهدّد سعادة هيلين. إنه موضوع لم يطرقاه أبداً. وفجأة قالت داليا:

«لا شك أن بيتر شعر بألم كبير عندما قلت له انك غير قادرة على الزواج منه».

تناولت هيلين سيكارة وأشعلتها في يد مرتجفة، وقالت:

«إنه إنسان معقد ولا يعبّر عن حقيقة شعوره. فاجأني مع طوني، مساء الحادث، يا داليا. هنا، على هذا المقعد بالذات. كنت مضطربة وقلقة جداً عليك و... ولم أجد إلاّ طوني لأشكو له مخاوفي. وحينذاك أدركت أني غير قادرة على الزواج من بيتر».

«هل قلت له كل ما كنت تشعرين به؟»

«نعم. لو حصل ما حصل في ظروف أخرى، لما كان راعى شعوري بهذه السهولة. لكن الجميع كانوا قلقين عليك. حتى بيتر نفسه كان قلقاً للغاية! واقترح على طوني أن يتزوجني بسرعة. قال: ليس للجميع فرصة أخرى. ثم ابتعد في الليل... مثل صبي صغير ممزق يريد أن يبقى وحيداً مع عذاباته».

ضغطت يدا داليا على الغطاء لكن هيلين لم تلاحظ شيئاً، وتابعت تقول:

«هناك دائماً إنسان عليه أن يتألم، لكن بيتر رجل قوي وسينسى، إنني متأكدة من ذلك، يا داليا».

«نعم...»

خفضت داليا عينيها خشية إظهار مخاوفها وآلامها. عاد بيتر إلى أفريقيا الجنوبية قبل ثلاثة أسابيع. استقل الطائرة بعد أيام من إجراء العملية، ابتعد عن حياتها، لكنه لم يبتعد عن أفكارها، وخاصة عن أفكار داليا. كل يوم، كل ساعة، تفكر فيه. وفي أشد مراحل مرضها خطورة، كان معها... في الحلم.

أضافت هيلين تقول:

«أرادني أن أحتفظ بجميع الهدايا التي قدمها إليّ. لكنني فكّرت أن ذلك غير لائق بالنسبة إلى طوني. فأنا الآن زوجة طبيب ريفي وسأكون عرضة للأقاويل إذا شاهدني مرضاه أتسوق في معطف الفرو»

ابتسمت داليا في جهد وسألتها:

«هل يروق لك أن تصبحي ربة منزل؟»

قالت هيلين في ضحكة صغيرة خجولة:

«بدأت أتعود على ذلك. شقتنا بدأت تبدو جميلة. أتمنى أن تريها قريباً. إنها تقع قرب عيادة والده، ووالده يتناول العشاء معنا مرتين في الأسبوع. إنه رجل محب ويؤكد لي أن طبخي رائع. لكن عليّ التعلم بأن أصنع له طعامه المفضل المؤلف من العجين واللحم الذي يحبه كثيراً».

ضحكت داليا لهذا التغير الملموس لدى هيلين وتصوّرتها وهي ترتدي مريولاً وتطهو لزوجها ووالده.

«هل يحب طوني الوجبات الغريبة التي تطبخينها له؟»

«إنه يكاد يأكل أصابعه مع الأكل».

لمعت عينا هيلين، لكنها رمت بقايا سيكارتها وأمسكت يدي داليا الباردتين والشاحبتين.

«إني سعيدة جداً لأنك في تحسن. لقد تصورنا أن كل شيء انتهى، ذلك المساء يوم الحادث. كان المطر ينهمر بقوة وكان بيتر مبللاً عندما وصل إلى المستشفى. تعطّلت سيارته على الطريق ولم يكن قادراً على إيجاد سيارة تاكسي. فاضطر إلى إكمال الطريق ركضاً. الغريب في الأمر أني لم أعرف كيف علم بالخبر، لكنه لمّا وصل، أبعد عنه الممرضة التي أرادت منعه من الدخول، ودخل إلى الجناح حيث كنا برغم اعتراض العاملين هنا. غريب... خيّل إليّ أن حيويته تتفشى وتنتشر، لتدفئك وتبعث فيك الحياة وتنشطك... ثم عندما أعلن الطبيب أنك تنامين بصورة طبيعية وبدأ خداك يتلونان، خرج من دون ضجة، يا داليا. لم نلاحظه. وفرحنا جداً عندما سمعت الدكتور وارد وستيبوري يعلن أنك نجوت من

الموت».

ران صمت بين الشقيقتين، وحلّت مكانه زقزقة العصافير. أخيراً همست داليا تقول:

«كنت أعتقد أن ما حصل لي لم يكن سوى حلم. كنت أرى المطر، والثلج، على وجهي».

قالت هيلين وهي تنحني لتقبل وجه داليا النحيل والشاحب:

«نعم، كان مبللاً. لكن الآن، كل الأشياء على ما يرام بالنسبة إلينا جميعاً».

لم تعارض داليا كلامها. نظرت إلى شقيقتها وهي تمشي في خطوات سريعة في الحديقة متوجهة إلى منزلها الجديد وإلى زوجها.

كل شيء على ما يرام بالنسبة إلى هيلين، لكن حزناً ثقيلاً يجتاح داليا، الجالسة وحدها على كرسي نقال تفكر بما قالته أختها. إذن لم تكن تحلم: بيتر كان بجانبها، ليلة الحادث... أرادت أن تعيش لأنه كان موجوداً، لأنه ضمها بين ذراعيه ومنحها القوة اللازمة لتعيش.

والآن هو بعيد وقد وعدها بإرسال باقة ورد باللون الوردي وبعض الألعاب القيمة التي يمكنها أن تتسلى بها، وشوكولاته سويسرية وعلبة موسيقى قديمة تعزف لحناً خفيفاً كلّما فتحت الغطاء، وطير من زجاج شبيه بالذي قدّمه مرّة إليها.

أحبت هذه الهدايا... وكرهتها... إنها تريد بيتر ولا شيء آخر.

ستجاب يتسلق شجرة قريبة منها ثم يعود إلى العشب باحثاً عن بلوطة سقطت من الشجرة. هنا وجد بيتر هيلين مع طوني... وبعد أيام من هذا الحادث، أمضى على سرير داليا أسوأ ليلة في حياته. صوته الدافئ، الخفيض والوقور جعلها بقوة تتشبث بالحياة وهي تعرف الآن أنه سيظل قربها في أحلامها حتى ولو لم تره بعد الآن.

ستحبه في أحلامها... وعليها أن تكتفي بذلك.

سمعت خطوات قريبة فرفعت نظرها ورأت الدكتور وارد وستبوري يقترب منها، ويداه في جيبي مريوله الأبيض وشعره الناري يلمع تحت أشعة الشمس. توقف أمام مقعدها وابتسم لها قائلاً:

«قريباً يحين موعد الشاي. هل تريدين أن أنقلك إلى الداخل؟»

قالت في مزاح:

«سأركض».

وعدها قائلاً:

«سيأتي ذلك اليوم قريباً».

راحا يتحدثا معاً في محبة بينما كان يجرها نحو أبنية المستشفى. سألته:

«كم أحتاج إلى وقت كي أتمكن من المشي؟»

ران صمت وهما يدخلان إلى قاعة المستشفى تاركين الشمس وراءهما. أخيراً قال:

«إن أعصاب العمود الفقري أصيبت بأضرار شديدة، يا ابنتي، ولن تستعيد حالتها في سرعة. لكنك فتاة شجاعة وإني أتكل على صبرك الطويل».

«إنها مسألة أسابيع، يا دكتور... أو أشهر؟»

التفتت إلى الوراء، لتراه وهو يدفع الكرسي إلى المصعد ويكبس على الزر. قطب حاجبيه الناريتين العريضتين وراح يتفحصها في هدوء، ولم يرد على سؤالها إلاّ عندما وصلا إلى غرفتها.

«هل أنت قلقة على وظيفتك؟»

«نعم».

«يا لك من فتاة مستقلة».

ابتسم وجرّ الكرسي إلى مكان مشمس قرب النافذة. فقالت:

«لا أحب أن يعيلني أحد».

انحنى وارد وستبوري ووضع يداً على مسند الكرسي واليد الأخرى على كتفها وقال:

«إذا كنت تعتقدين أنك ستظلين طيلة حياتك مسمرة على هذا الكرسي، فأرجو أن تطردي هذه الفكرة من رأسك! ستمشين، مع الوقت، وإني متأكد تماماً من أن عمك وعمتك الرائعين، ليسا مهتمين بالناحية المادية من المشكلة. إنهما سعيدان لأنك... لماذا أنت شاحبة اليوم؟ أجمالاً أنت أفضل مريض لدي، وأتباهى بك أمام الجميع بصورة دائمة».

«إني ... أني قلقة قليلاً لعودتي إلى المنزل نهار الجمعة. يبدو لي أني سأفتقدك أنت الذي أنقذت حياتي يا دكتور وستبوري».

«أنت التي قاومت جاهدة لتعيشي، من دون مساعدتي. أرجو أن تصدقي ما أقوله. إني أفرح عندما أسمع من المريضات الجميلات أنهن لا يمكنهن الأستغناء عني، لكني أعرف جيداً أنك ستتدبرين أمورك تماماً».

دخلت المساعدة حاملة صينية عليهاالشاي وسندويشات وحلوى. فاختار الطبيب سندويشاً بالخيار وبينما كان يتحدث عن أمور كثيرة، تناول كتاباً عن طاولة داليا وفتحه وراح يقرأ بعض المقاطع الشعرية. ثم التفت نحو داليا وحدّق فيها بعينيه الزرقاوين وهمس يقول:

« ماكاي شاعر شغوف».

«نعم...»

تأمل برهة وجهها النحيف وعينيها الواسعتين ووجنتيها المجورتين وشفتيها الممتلئتين، ثم أعاد نظره إلى الكتاب الصغير وقال:

«لست ضليعاً في الشعر، لكني أجد جمالاً في هذه الأبيات... كأنها كتبت لمن أحب يوماً... ثم أضاع هذا الحب».

قالت داليا وقلبها يخفق بسرعة هائلة:

«إني أعشق اريك ماكاي منذ زمن بعيد. كنت أقرأ له عندما كنت في المدرسة، من دون أن أفهم ما يعني بما يكتبه. لا شك أنه لقي نجاحاً كبيراً وسحراً رفيعاً تجاه النساء».

قال الجراح ساخراً:

«أما أنا، لست سوى دب كبير تجاه النساء، إلاّ عندما يستسلمن في غرفة العمليات».

ابتسمت داليا وهي تنظر إليه مطولاً. لم يكن جميلاً، لكن لا تنقصه الجاذبية.

وقالت:

«إني متأكدة من أنك حققت بعض الانتصارات يا دكتور».

ابتسم لكن في حزن وقال:

«كانت هناك فتاة... من زمان بعيد، كنا معاً في الجامعة... تدعى مارجري، ثم أصيبت بالشلل الذي أثر على رئتيها وماتت».

توقف قليلاً ليأخذ زفرة عميقة ثم أضاف في صوت خفيض

«حتى اليوم، ما زلت أرفض التسليم بأنها ماتت. عندما أراها في أحلامي، أستيقظ لأجد نفسي وحيداً. تظل متعطشين عندما تنقضي من الأحلام...»

خرج لتوه وراحت داليا تنظر من النافذة، متسائلة ما إذا كان وارد ستبوري يعرف سرها. لقد عالجها منذ الحادث إلى اليوم. ولا شك أنها بتأثير الأوجاع والمسكنات، تلفظت بأسم معين. مطالبة بالرجل الذي كاد يتزوج من

أختها.

تنفست الصعداء، وراحت أفكارها تحلق نحو بلاد بعيدة، إلى حيث عاد بيتر الذي لم يكن قادراً على تحمل البقاء هنا بعد الذي حدث: لا شك أنه أحب هيلين. لكن داليا تعرف أن الحياة ليست سوى صحراء مؤلمة، في غياب صوت الحبيب، الذي يلفظ أسمك ويجعلك ترتعش حباً. والتقطت كتاب الشعر وفتحته وقرأت:

«علّمتني الحياة أن السعادة قاسية».

«إنها أمل فراشة، حطمنا أجنحتها».

وفي صباح اليوم التالي، بينا كانت غيرسيدا تدلك ساقي داليا، عرفت هذه الأخيرة أن الفتاة الأميركية الشقراء مسحورة بغاري كونواي.

وعلى الطاولة قرب سرير داليا، كان الراديو يبث لحناً من تأليف غاري «رقصة الجبل» يملأ غرفة المستشفى. توقفت يدا غيرسيدا القويتان عن تدليك ساق الفتاة الأيسر وهمست في صوت حالم:

«إن موسيقى غاري ساحرة حقاً».

وغيرسيدا فتاة أميركية جريئة، ترتدي الملابس الأنيقة وتبدو قاسية بعض الشيء لمن لا يعرفها جيداً. لقد باحت لداليا بأن لديها عدة أصدقاء، لكنها لا ترتبط مع أحد منهم بعلاقة جدية وكانت تقول: أريد أن أقع في الغرام في جنون، يوماً من الأيام، لكنني في الوقت الحاضر أحاول أن أتسلى. وراحت تتمتم مع لحن الأوركسترا ثم قالت في ابتسامة وهي تستعيد التدليك في حيوية.

« غاري رجل موهوب حقاً، وحظك كبير لأنك تعرفت إليه. وقريباً سأجعلك تقفين وتستعدين لأن تسبحي في مياه شهر العسل مع هذا الشاب اللطيف. اعتقد أن شلالات نياغارا هي المكان المفضل لرحلة شهر العسل... يكفي أن تري

ألوان قوس قزح. كنت أعشقها عندما كنت صغيرة وكنت أتساءل دائماً ما إذا كانت هناك صحيفة مليئة بالذهب تنتظرني في قوس قزح.

سألتها داليا ضاحكة بينا كانت المدلكة تساعدها على ارتداء سروالها:

« غيرسي، هل في عائلتك دم ايرلندي؟»

«الأساطير الأيرلندية؟ جدي ايرلندي. هل هذا ما تريدين معرفته؟»

«بكل تأكيد».

وفي سهولة، وضعت داليا قدميها على الأرض ووقفت تساعدها غيرسي على ذلك. وبعد لحظات كانت داليا جالسة على الكرسي وهي تشعر بوخز في قدميها بسبب التدليك.

سألتها غيرسيدا وهي تضع وراء ظهرها وسادة صغيرة لتهدئة آلام الكلى التي تتألم منها داليا باستمرار.

«كيف تشعرين؟»

«إنني مرتاحة. أنت صديقة رائعة يا غيرسي».

أجابتها غيرسيدا وهي تلقي نظرة إلى ساعة يدها:

«أنت لا بأس بك، يا داليا. ما زال عندي وقت لأدخن سيكارة قبل أن انتقل إلى مريضة ثانية. هل تدخنين سيكارة معي؟»

إنها سكائر أميركية وقد دهشت داليا من طول هذه السكائر فقالت غيرسي:

«في بلادي، كل شيء طويل. المباني. الشباب. السكائر. وفي الماضي كنت أخرج مع لاعب ركبي، طوله متران تقريباً. إنني أحب الرجال المشوقين، إذ يبدو لي أنهم ضعفاء، ومن دون دفاع».

جلست المدلكة على طرف السرير، وشبكت ساقيها الطويلتين ببعضها.

وسألت داليا:

«هل تشعرين باضطراب لأنك عائدة إلى المنزل في الغد؟»

«قليلاً. أنا سعيدة لأني سأبقى بين يديك وقتاً أطول. ليس لأنك تقوين قدمي فقط بل لأنك ترفعين معنوياتي أيضاً».

«الفتاة العاشقة ليست في حاجة إلى رفع معنوياتها، خاصة عندما تعرف أن حبيبها متعلق بها حتى الجنون. إن غاري يعامل بقية الفتيات مثل أخواته».

كانت غيرسيدا تتكلم في خفة، لكن عينيها فقدتا رونقهما الطبيعي، وتساءلت داليا إلى أي درجة يسحرها غاري ويجننها... ثم ضحكت عندما قالت المدلكة الأميركية:

«آه، هل تعرفين ماذا أريد في هذه اللحظة. أريد سندويشاً ضخماً من لحم البقر وكبيس الخيار».

«لا يمكنني أن أقدم لك شيئاً من هذا، لكن عندي بعض الشوكولاته. إنها في الجارور الصغير داخل الخزانة».

«آه، إني أحب الشوكولاته السويسرية».

أسرعت غيرسيدا وفتحت الجارور وتناولت العلبة الكبيرة المدورة ووضعت في فمها قطعة شوكولاته داخل حبة كرز وقالت:

«آه، ما أطيبها!»

«خذي منها ما تشائين».

«إنها شوكولاته غالية الثمن، ولن يقدم لك أحد مثلها في الوقت القريب. سآخذ واحدة ثانية. من أهداك هذه العلبة؟ لا شك أنه رجل غني وحنون؟»

«الرجل الذي كان من المفروض أن تتزوج منه أختي».

«الملياردير الأيرلندي؟ سمعت الممرضات يتكلمن عنه. إنه شاب طويل أسمر، ذو

عينين خضراوين، أليس كذلك؟ لا شك أن أختك الجميلة كانت مغرمة حتى الجنون بطبيبها الشاب لتتخلّ من أجله عن هذا الملياردير الأيرلندي».

«الحب أهم من المال. ألا تعتقدين أن ذلك صحيح، يا غيرسي؟»

«... الحب شيء غريب. إنه انفجار كبير في القلب، يدمرك ويبنيك من جديد فتصبحين انساناً آخر. الأشياء التي تريدها قبل أن تقع في الحب ليست أبداً الأمور نفسها التي ترغب فيها بعد الانفجار.. هل تعتقدين أني أتكلم مثل ممثلة في فيلم أميركي قديم؟»

«تتكلمين في صدق، يا غيرسي. وكلامك صحيح. وشقيقتي هي الدليل...»

في هذه اللحظة غيّرت داليا جلستها وصرخت من الألم. أسرعت غيرسيدا نحوها وسألتها:

«أما زلت تشعرين بآلام في الظهر؟ أنت في حاجة إلى كرسي قلاّب، وسأحدث الطبيب بذلك. التأرجح علاج جيد لأوجاع الظهر لكن علينا أن نجد لك كرسياً قلاّباً في هذه المدينة الصغيرة القديمة».

وتذكرت داليا آل ونتون، أصدقاء بيتر الذين تعرّفت اليهم في فيللا يغدير وقالت:

«أعرف أناساً يملكون محلاً للتحف القديمة في مدينة هوف. سأتصل هاتفياً بهم وأطلب منهم أن يديروا لي كرسياً قلاّباً».

«فكرة حسنة... والآن هل تشعرين بتحسن؟»

«نعم. أحسن بكثير مما كنت عليه».

«إنه تقلص عصبي، يا حبيبتي. وسيزول الألم نهائياً مع مرور الوقت. لكني سأقول للرجل الناري إن الكرسي القلاّب يخفف لك آلام الظهر».

«هل يعرف أنك تلقبينه بالرجل الناري؟ ألا يغضب؟»

«ولماذا يغضب؟ رأسه جميل بشعره الناري. يا للأسف أن رجلاً مثله لم يتزوج. أنا متأكدة من أنه لو تزوج فسيكون زوجاً جيداً».

«لقد أحب فتاة، لكنها ماتت. هذا سرّ بيننا، يا غيرتي».

«هكذا إذن تتبادلان الأسرار؟ يقال إنه غامض ولا يبوح بشيء لأحد. لا شك أنك سحرته بعينيك البراقتين ولم يتمكن من مقاومتها».

«حقداً»

«لا، ايرلندية؛ والآن عليّ الاسراع، فقد حان وقت الممرضة الثانية. إلى اللقاء يا عزيزتي».

وما أن غادرت غيرتي غرفتها حتى اتصلت داليا بالسيدة ونتون التي فوجئت لدى سماع صوتها وقالت:

«كيف حالك الآن، يا داليا؟»

كانت تريد أن تعرف في الحال عن تحسن حالتها وأكدت لها أن في أمكانها أن تؤمن لها كرسياً نقالاً صغيراً ومريحاً.

ثم ران الصمت وفهمت داليا أن السيدة ونتون تريد التحدث عن بيتر لكنها لم تجرؤ على ذلك. فأسرعت داليا في السؤال عما إذا كان السيد ونتون سمع أشياء عن بيتر.

«نعم، يا ابنتي. لقد كتب لنا يقول إن لديه مشاكل في إحدى المزارع. لم يستطع حلها بسرعة. أنت تعرفين بيتر يا لهذا الرجل المسكين. أنه حزين جداً بعد فسخ الخطبة. وعندما يكون الانسان حزيناً وتعيساً، فمن الأفضل أن ينهمك في أعماله لعله ينسى. لكن...».

سألتها داليا وهي تنظر في حنين إلى العصفور الفارد جناحيه استعداداً للطيران، وهو هدية بيتر الوداعية:

«نعم. ماذا هناك يا سيدة ونتون؟»

«أرجو أن يبقى الحديث بيننا، يا داليا. أعتقد أن بيتر في حاجة إلى شخص يجعله يسترخي معه. ليس من السهل أن يكون الواحد محركاً فعالاً لمؤسسة ضخمة، وقد لاحظت أنا وزوجي سام إنه كان متوتراً عندما جاء للعشاء قبل سفره إلى أفريقيا. في صراحة، أعتقد أنه كان يريد الهرب».

صرخت داليا في نفسها: آه، يا بيتر، كم أنا حزينة من أجلك. أنت الرجل القوي، الواثق من نفسه، الهارب من أجمل منزل في الجبل، من البلدة الصغيرة حيث تعيش تلك التي أخذت قلبه، ثم تخلت عنه

فوجئت السيدة ونتون من هذا الصمت وقالت:

« داليا؟ هل ما زلت على الخط؟»

«نعم... كنت أفكر في بيتر».

«لا ينبغي أن تقلقي عليه، يا فتاتي. سيتغلب على أحزانه، ثم يفتش عن فتاة أخرى».

«هل تعتقدين أنه سيعود يوماً ما إلى انكلترا؟»

«لا أعرف. لقد عين لمكتبه اللندني مديراً كبيراً. وهو يشعر بسعادة أكثر عندما يعمل في مزارعه في أفريقيا. داليا، كيف أحوال هيلين؟»

«إنها سعيدة... جداً إني... إني آسفة من أجل بيتر، لكني أعتقد أن ذلك أفضل له... من أن يتزوج من فتاة لا تحبه...»

«أنا أتفق معك في هذا. ولنأمل عما قريب أن يلتقي بفتاة تحبه لأنه يستحق ذلك».

توقفت لحظة ثم أكملت:

«في صراحة، لقد تعرف بيتر إلى كثير من النساء، وبعضهن أحببنه كثيراً وفي

أخلاص، لكنه رجل... لا أجد الكلمات المناسبة. حياة . حب. هل تفهمين ما أقوله؟ إذا كانت هيلين ذات أهمية كبيرة بالنسبة إليه، فلن يقبل بأمرأة أقل شأناً».

هذه الكلمات ضربت قلب داليا مثل سهم بارد. لا يمكنها أن تتصوّر بيتر، يعيش من الذكريات، يعود كل مساء إلى المنزل حيث لا تنتظره أي أمرأة عاشقة وتستقبله في ابتسامة وفي قبلة...

١٠ ـ لا تتركني بعد اليوم

احتفلت هيلين وزوجها بعودة داليا من المستشفى في حفلة عشاء في منزل العروسين.

وأعجبت داليا بشقة أختها الصغيرة واللطيفة. الصالون العصري يليق بشخصية هيلين بمقاعده المنخفضة وسجادته الليمونية وستائره المزركشة.

وبعد العشاء، أجلسها صهرها الطبيب بين الأرائك على مقعد بشكل نصف قمر وابتسمت هيلين فرحاً وهي تقدم القهوة وقالت لداليا:

«يعجبني شعرك الطويل المرفوع. يجب أن تحافظي على هذه التسريحة».

«سأحتفظ بها حتى أعود إلى العمل. الشعر الطويل يزعجني عندما أمضي معظم وقتي أمام الآلة الكاتبة. صالونك أعجبني يا هيلين. إنه عصري ودافىء في الوقت نفسه».

«ما رأيك باللوحات المرسومة؟ اشتريناها خلال رحلة شهر العسل بسعر رخيص، ووضع طوني إطاراً مصنوعاً من خشب الأثاث نفسه».

التفتت هيلين إلى زوجها في اعجاب، كأنها لا تصدق السعادة التي اكتشفتها في حياتها مع هذا الرجل الهادىء الذي لن يعكر صفو حياتها، مثل والده، ولا يريد إلا مساعدة مرضاه في هذه المدينة الصغيرة الرائعة

ورأت داليا بعض الهدايا التي أرسلت للعروسين بمناسبة زواجهما، وبينها

مجموعة من الخزف أرسلها بيتر، فهمست داليا تقول:

«هذا لطف منه. إني... إني آسفة لأنه لم يأت إلى المستشفى ليودعني».

شيء ما في صوتها جعل هيلين ترفع رأسها فجأة وراحت تتفحص وجه داليا وشعرها الكستنائي الذهبي. فانتفض قلب داليا... كادت تفضح نفسها! فأضافت جاهدة في لهجة عادية قدر الامكان:

«كنا دائماً متفقين في الآراء. كنت أتمنى لو تمكنت من وداعه قبل رحيله».

«ذهب فجأة من دون أن يكلم أحداً. كنت آمل أن تحضري غاري معك، الليلة. أنت وهو.. هل ما زلتما منسجمين؟»

«طبعاً. لكنه لم يحضر لأنشغاله في بعض التسجيلات».

« غاري مناسب لك، يا داليا».

«نعم، أعرف ذلك جيداً».

«تحبينه، أليس كذلك؟»

« هيلين...»

« داليا، لقد تعذبت كثيراً ولا أريد أن ...»

رفعت داليا يدها فجأة وأمسكت يد شقيقتها، تتوسل إليها ألا تكمل كلامها. فصرخت تقول:

«آه، أنظري. هذا البرنامج أحبه. دعيني أراه من فضلك».

التفتت العمة سوزان نحوها ونبهتها قائلة:

«إن مدته نصف ساعة وبعدها إلى الفراش، يا صغيرتي».

وعندما حان وقت الذهاب، ضغطت هيلين في شدة على ذراعي داليا كأنها تتوسل إليها في صمت وتقول: إنسي بيترا الجميع يعرفون إني أنا من

يجب.

وخلال الأيام التالية كانت غيرسيدا تأتي كل صباح إلى منزل سميث لتقوم بتدليك ساقي داليا. وغالباً ما كانت تلتقي بغاري الذي لم يفارق داليا لحظة. وفي أحد الأيام دعا الفتاتين إلى قضاء يوم الأحد في فيللا بالقدير. فالطقس جميل مما يسمح باستعمال حوض السباحة. وأعلنت غيرسيدا أن السباحة أفضل رياضة لعضلات داليا.

ابتسمت داليا وهي ترى تعبير وجه المدلكة الشابة التي فرحت لفكرة قضاء يوم بكامله برفقة غاري.

جاء غاري وأخذ داليا صباح الأحد باكراً في سيارته التي كانت تسير في الجبل تحت أشعة الشمس الصباحية.

«يا إلهي، يا داليا، كم هو جميل أن أراك من جديد قربي في السيارة. والآن أنا نادم لأننا لن نكون وحدنا طيلة النهار».

«لا بأس يا غاري، أنت تعرف أنك تحب غيرسي وتحترمها. إنها فتاة رائعة وجميلة».

«إني لا أحب الفتيات الشقراوات. المشكلة هي أني لا أستطيع أن أغازلك كما أريد أمام إنسان آخر».

« غاري».

«لا تدهشي، يا داليا. هل لاحظت أن أسابيع عديدة مرت من دون أن آخذك بين ذراعي أو أعانقك؟»

أوقف غاري السيارة في طريق فرعية والتفت نحوها، وأمسك يديها ثم طوق خصرها وهمس يقول:

«منذ أسابيع طويلة، لم...»

تركته يعانقها. لا ينبغي أن تفسد له نهاره، لكن قريباً، عليها أن تصرح له بأنها لن تتزوج منه. قريباً وليس الآن... ولا اليوم...

«أنت ترتجفين. هل تشعرين بألم من ضمتي؟»

«كلا. لكن لتذهب من فضلك».

«يا داليا المسكينة. تألمت كثيراً، أليس كذلك؟ عندما ينظر إليك أحد يخيل إليه أن لمسته الخفيفة في إمكانها أن تحطمك».

وطبع على خدها قبلة صغيرة ثم أقلع بسيارته وأخذ طريق الجبل. كان الهواء منعشاً والريح الآتية من البحر تحمل معها رائحة اليود وتلعب في شعر داليا المتطاير على وجهها. ومن بعيد أجنحة طاحونة تذكر داليا بالطاحونة التي لجأت إليها مع بيتر في ذلك اليوم العاصف. يومها، الصاعقة والبرق والرعد كلها تدوي في السماء وهي لجأت إلى ذراعي بيتر القويتين اللتين احتضنتاها بحنان.

«أشعر بقلبك يخفق تحت يدي». هذا ما قاله من دون أن يعرف أنها كانت خائفة منه وليس من العاصفة.

دخلت سيارة غاري في الممر بسرعة فتطايرت أوراق أشجار الخريف المرمية على الأرض. ولمّا توقفت السيارة أمام المدخل، شعرت داليا بأن بلفدير تبدو دافئة ومضيافة.

فتح دونوفان الباب وقال في ابتسامة عريضة عندما شاهد غاري يحمل داليا ويدخلها إلى البهو الواسع:

«إني سعيد برؤيتك، يا آنسة سميث».

قالت بفرح:

«صباح الخير، يا دونوفان. كنت أظن أنك ذهبت إلى أفريقيا الجنوبية مع السيد شيريدان».

أجاب بعد أن غاب عن وجهه الابتسام:

«نعم. لكن بيتر أرادني أن أبقى هنا للأهتمام بالسيد غاري. لكني مشتاق جداً إلى أفريقيا الجنوبية. الشتاء هنا على الأبواب وأنا لا أطيق البرد».

تدخل غاري قائلاً:

«لكن اليوم الشمس ساطعة. وسنستعمل حوض السباحة. لكن قبل كل شيء سنحتسي القهوة على الشرفة».

قال دونوفان:

«الفتاة الأخرى وصلت وها هي الآن في حوض السباحة».

حمل غاري داليا إلى الشرفة التي تطل على حوض السباحة حيث كانت غرسيدا تلهو في بذلة السباحة البيضاء.

صرخت وهي تخرج من الماء:

«صباح الخير، لم أتمكن من انتظاركما. فما أن شاهدت حوض السباحة حتى غطست فيه. إن الشمس دافئة والماء رائع».

أجاب غاري وهو يضحك:

«أحياناً الطقس الأنكليزي له حسناته».

شعرها يتدلى منه الماء، وبياض بذلة السباحة يظهر بشرتها الملوحة، وأسنانها تشع بين شفتيها الحمراوين. إنها حقاً فتاة أميركية في صحة جيدة.

بعض المقاعد والكراسي الطويلة المصنوعة من القش كانت موضوعة قرب

حوض السباحة، فأجلس غاري داليا على إحداها، بينما تمددت غيرسيدا على سرير البحر الملون. وصل دونوفان وهو يجر طاولة عليها القهوة وبعض السندويشات الصغيرة.

راحوا يحتسون القهوة ويأكلون بشهية ويضحكون تحت سماء زرقاء، وعلى ضفاف المياه البراقة، ثم سبحوا وشعرت داليا في ارتياح داخل الماء أفضل من الأرض الصلبة، لكنها سرعان ما تعبت وتمددت على سرير البحر تنظر إلى رفيقيها يلهوان في الماء. كانا يغطسان، ويلحقان ببعضهما ويتقاذفان كرة كبيرة. وقد وجدت داليا، إنهما ينسجمان كلياً ويليقان ببعضهما. وفي لحظة ما، عندما أمسك غاري بيد غيرسي ليأخذ منها الكرة، رأتها تغمض عينيها كأنها انتشت بلمسته.

وعرفت داليا تماماً ما كانت غيرسيدا تشعر به لدى لمسة غاري لها. وهناك بريق أمل من ناحية المدلكة الأميركية، إذ أن غاري يعي تماماً مدى جاذبية الفتاة، وربما تحول إليها عندما تبلغه داليا بأنها غير قادرة على الزواج منه. الزواج المبني على حب من طرف واحد لا يمكنه أن ينجح. عرفت هذا عندما كانت هيلين مخطوبة لبيتر.

تناول الثلاثة طعام الغداء في غرفة الطعام ذات الأثاث القديم اللماع. كانت غيرسيدا ترتدي ثوباً مزهراً وشعرها الرطب مرفوع إلى الوراء.

قال غاري مازحاً:

«أعتقد أنه لم تتسن لي حتى الآن فرصة تناول طعام الغداء برفقة فتاتين جذابتين. المنزل نصف ميت من دون نساء يملأنه ضجة وأنوثة وأناقة».

أجابت غيرسيدا في ابتسام:

«إنك تقول أشياء لطيفة، رغم أنك انكليزي. كنت أعتقد أن البريطانيين محافظون ولا يعبرون عن شعورهم».

«أمي من بلاد الغال وأبي ايرلندي. وقد أمضيت جزءاً كبيراً من حياتي في أفريقيا، برفقة رجل... ألا تعرفين ولي أمري يا غيرسي، أليس كذلك؟ يقول أشياء استوحي منها ألحاني. داليا قادرة أن تخبرك عن بيتر، هذا الرجل الايرلندي الرائع».

أجابت داليا هامسة:

«الأيرلنديون معروفون بأن نصفهم مقاتلون ونصفهم الآخر شعراء».

قالت غيرسي:

«آمل أن يعود السيد شيريدان يوماً لأتعرف إليه. هذا الرجل ذو الصوت المخملي».

«مع بيتر لا يمكنك أن تعرفي شيئاً».

ألقى غاري نظرة سريعة إلى داليا وفهمت أنه يفكر بفسخ الخطبة مع هيلين. إذا كان بيتر قد سافر كي يبتعد عن هيلين فهذا يعني أنه لن يعود بسرعة.

بعد الغداء، راحوا يسمعون الأسطوانات ويحتسون القهوة وبعدها خرجوا من جديد إلى الشمس.

قال غاري موجهاً حديثه إلى غيرسي:

«ما رأيك لو نلعب بكرة المضرب. هل يمكنك أن تلعبي بهذا الفستان...»

«طبعاً. إن تنورته قصيرة».

«هل تنزعجي يا داليا، إذا تركناك ورحنا نلعب بكرة المضرب؟».

«لا، أبداً. أحب أن أتفرج عليكما».

ضمّها غاري بين ذراعيه وطبع قبلة وأسرع إلى الملعب.

كانت داليا تشاهد اللعب وهي جالسة في مقعد مريح في الحديقة، ثم أغمضت عينيها وراحت تسمع طرقات الكرة على الأرض والفراشات تدندن في العشب. فجأة، انتفضت داليا، إذ أعتقدت أن أحداً يناديها.

نظرت حولها لكنها لم تر أحداً. كان غاري و غيرسيدا يرتاحان لحظة في طرف الملعب. لكنها كانت متأكدة أن أحداً تكلم. ربما تحلم...

أدارت وجهها نحو السياج ورأت شبحاً قريباً، فراح قلبها يطرق بقوة. كاد أن يغمى عليها... بيتر! إنه هو بلحمه ودمه، ولم يكن ما تصوّرته حلماً.

اقترب منها واشتبكت نظراتهما. ظلّت صامتة غير قادرة على الابتسام. كل ما كانت تريده هو أن تتأمله وتملأ عينيها وقلبها من وجوده.

قال مبتسماً:

«صباح الخير، يا داليا. كيف حالك؟»

وقبل أن ترد، صرخ غاري وهو يسرع نحوها وتمسك بيد بيتر وقال:

«أيها المجنون! ألم يكن باستطاعتك أعلامنا؟ يا إلهي كم أنا مسرور لرؤيتك! ما رأيك بداليا؟ لقد سبحت وقريباً ستمشي ولن نضطر بعد ذلك إلى أن نجرها أو نحملها».

أجاب بيتر:

«آه، آه، مهلاً يا ابني. نعم، داليا تتمتع بصحة جيدة. وأنت، تبدو كأنك تصارعت مع أحد».

ألقى نظرة سريعة نحو غيرسيدا التي كانت تنظر إليه في خجل. ابتسمت

داليا وقامت بتقديمها إليه.

«هذا شرف لي أن أتعرف إليك، يا آنسة موران. لن أضطر لأسألك ما إذا كانت داليا مريضة مطيعة».

أكدت له غيرسي وهي تصافحه وتشد على يده الضخمة السمراء:

«إنها أفضلهن، يا سيد شيريدان. الجميع أحبوها في المستشفى، وخاصة الجراح وارد وستبوري».

«هكذا اذن!»

ابتسم بيتر إلى داليا، ثم انحنى وحملها بين ذراعيه واتجه بها إلى الشرفة. كان قلبها ينبض بسرعة وكانت تأمل ألا يتنبه بيتر لذلك.

«أنت مختلفة... آه، إنها تسريحة شعرك! شعرك طويل الآن ولا تبدين كالعفريتة».

«وهل أنت نادم على ذلك؟»

كانت يداها حول عنقه وهي تشعر بقربه وتغرق نظرها في عينيه. إنها تتأمل من جديد ابتسامته الساخرة الحميمة.

«هل كل شيء على ما يرام، يا داليا؟ لا مشاكل؟»

«لا شيء، والحمد لله. يريد الدكتور وستبوري أن استعجل الأمور، لكنني أفقد صبري أحياناً. إنني مشتاقة للمشي...»

«إن الدكتور وستبوري جراح ماهر وقد اهتم بك في عناية كاملة. وأنا متأكد من أنك ستركضين على الثلج في سهولة خلال الشتاء المقبل».

هزّت رأسها ولم يكن في استطاعتها الرد عليه. من الرائع أن تكون معه تحت الثلج، لكن لا شك أنه يقوم بزيارة قصيرة، وسيعود إلى أفريقيا قبل حلول فصل الشتاء.

«هل فرحت برؤيتي؟»

«أنا فرحة جداً لرؤيتك. هل ستبقى مدة طويلة؟»

همس قائلاً:

«من يدري».

ثم ردّد بيت الشاعر قائلاً:

«من يذهب أبعد من البحر، يغيّر سماءه ولا نفسه».

وضعها بيتر على الأريكة في الشرفة وقال لغاري الذي تبعها:

«سنقيم حفلاً يا غاري. إذا كانت ذاكرتي لا تخونني، فان عيد ميلاد داليا يصادف هذا الشهر. أي يوم، يا داليا؟»

«في الثامن والعشرين. لكن لا أريد أن تتعب من أجلي...»

أكد لها قائلاً:

«سندعو عائلتك وأصدقاءك وستطفىء الشموع فوق قالب الحلوى المغلف بأزرار الورد».

سيدعو عائلتها... وهيلين...

قبلت داليا كأس الليموناضة من يد غاري وراحت تشربه وتصغي إلى صوت بيتر الذي كان يتحدث مع غيرسيدا عن عمله.

سأله غاري:

«هل هدأت المشاكل في مزرعة بيتروريا، يا بيتر؟»

«نعم. ولذلك جئت إلى هنا. وأنت يا غاري، هل كل شيء على ما يرام؟»

بدأت الشمس تغيب بينما كان الجميع يتحدثون مع بيتر وملأ الغسق الحديقة وبدأ الطقس في الانتعاش. ودخل الجميع لتناول العشاء.

أمضت داليا الأسبوع التالي وهي في وضع غريب. سألتها هيلين:

«لماذا عاد؟ إنه يوقظ من جديد عصبية الجميع».

همست داليا محاولة أن تنسى ما قاله بيتر. إن الانسان لا يقدر أن يغيّر روحه إذا غيّر السماء.

«لن يبقى طويلاً».

هذا يعني أن عليه أن يرى تلك التي أحب ولو مرّة أخيرة.

تكره داليا أن تبقى من دون عمل فاقنعت عمها أن يسمح لها بمساعدته في الأعمال التي يجلبها إلى المنزل. وكانت في مكتبه، بعد ظهر الجمعة، منغمسة في الحسابات والأرقام، عندما جاء غاري لرؤيتها.

أخبرها أنه ينوي القيام بجولة موسيقية في أميركا الشمالية... ويريد من داليا أن ترافقه كزوجة. فجلس في زاوية المكتب وراح يتأمل داليا في نظرة توسلية ويقول:

«أرجوك. قولي إنك تقبلين الزواج مني ومرافقتي في جولتي. صحتك في تحسن مستمر وسأهتم بك كما يجب».

نظرت إليه ووجدت الشجاعة لأن تقول له في لطف زائد:

«آسفة يا غاري، إني احترمك وأحبك، لكن ذلك لا يكفي لأن أتزوجك».

«تريدين أن تقولي أنك لا تحبينني كفاية؟»

«لا أحبك بما فيه الكفاية لأتزوج منك».

« داليا. سأكون طيباً معك وأجبرك على أن تحبيني جداً».

«لا يمكن لأحد أن يجبرني على أن احبك، يا غاري. إن الحب يكون في القلب أو لا يكون. وأريدك أن تجد من يحبك. أنت رجل لطيف وفي حاجة إلى الحصول

على الحب الحقيقي».

ران صمت طويل، أخذ فيه غاري يد داليا ووضعها على شفتيه وقال:

«محاولة الحصول عليك يا داليا كمحاولة سجن الفراشة في النافذة. هناك دائماً إنسان آخر بيننا. لا، يا حبيبتي، لن أسألك من هو، لكنني أعرف أنه موجود بيننا، وأعرف أيضاً أن هذا الرجل يحب امرأة أخرى».

لم تتمكن من كبت انتفاضة فضحتها وأحزنت عيني غاري. فتنهد في عمق وقال:

«من الصعب عليّ أن أنساك. ستظلين دائماً حوريتي الصغيرة».

دخلت العمة سوزان حاملة صينية الشاي تريد سماع الخبر السعيد. لكن أملها خاب، إذ أن غاري احتسى فنجانه وخرج في سرعة وأقلع بسيارته في جنون.

همست العمة سوزان في حزن:

«إنه شاب لطيف جداً. والآن بعدما تزوجت هيلين واستقرت مع طوني الذي تعشقه، أتمنى لك الشيء نفسه، يا حبيبتي. ويبدو أن غاري يليق بك، لكن إذا كنت لا تحبينه، فالأمر يختلف كلياً».

«إنه من غير العدالة أن أتزوجه. كنت دائماً تقولين هذا الكلام عن هيلين عندما أرادت الزواج من بيتر».

«نعم، يا داليا. كنت أقول ما كنت أفكر فيه... على فكرة، لماذا عاد بيتر من أفريقيا؟ لماذا لم يبق هناك بعيداً؟ سيتألم إذا رأى هيلين.».

انحنت داليا في سرعة على الأعمال الحسابية التي لم تنته منها ولم ترفع رأسها إلا بعدما سمعت عمتها تخرج وتصفق باب المكتب وراءها. كانت عيناها

مغرورقتين بالدموع ولم تعد قادرة على رؤية شيء.

حلمت كثيراً أن تراه مرّة أخرى... الآن تتمنى ألاّ تراه أبداً. إنه من المؤلم أن يكون قلبها مليئاً بالحب وهي عاجزة أن تهبه لرجل آخر.

في المساء، ذهبت عمتها سوزان وعمها هاري إلى النادي كعادتهما، وطمأنتهما داليا أنها تشعر بتحسن وينبغي ألاّ يمنعا نفسيهما من الذهاب إلى السهرة من أجلها، خاصة وأنه سيتم خلالها انتخاب أجمل الراقصين. وأكدت لهما أن بإمكانها البقاء وحيدة ولا خوف عليها اطلاقاً.

جاء عمها وعمتها لتوديعها، يرتديان الملابس الأنيقة فقالت لهما:

«عليكما أن تنالا الجائزة الكبرى».

ودّعها عمها ضاحكاً:

«سنفعل كل جهدنا».

وقالت العمة:

«ولن نتأخر في العودة».

انغلق الباب وراءهما. سمعت داليا محرك السيارة وهي تقلع تحت المطر القوي والريح الباردة. بعض قطرات تسقط من مدخنة المدفأة وتصرّ لدى سقوطها على لهب النار.

كانت تقرأ في كتاب مثير عندما سمعت جرس الباب يرن، فانتفضت ورفعت عينيها، مقطبة الحاجبين، إذ أنها لم تكن تنتظر أي زيارة في مثل هذا الوقت. ثم عضت على شفتيها، وخشيت أن يكون غاري قد عاد ليقنعها بالزواج منه.

رنّ الجرس من جديد، في إلحاح. لا شك أن الطارق شاهد النور من نافذة قاعة الاستقبال ولن يرجع إلى الوراء. نهضت واقفة، لأنها في الوقت الحاضر أصبحت

قادرة على التقدم بخطوات قليلة وبالتالي بإمكانها الوصول حتى باب المدخل. ولمّا وصلت إلى الباب كانت تلهث لأنها قامت بجهد كبير ولمّا فتحته ورأت بيتر، كادت قدميها تخوران.

فتمسكت بمسكة الباب تحدّق بالوجه الأسمر وشعره المبلل. دخل وحملها بين ذراعيه وأغلق الباب. وفي قاعة الاستقبال وضعها على الأريكة وظل واقفاً قربها صامتاً فسألته لمّا تمكّنت من الكلام:

«ماذا جرى، يا بيتر؟ تبدو شديد القلق...»

عضّ على شفتيه ثم خلع سترته ورماها على المقعد وأضاف:

«المطر ينهمر بقوة».

نظر حوله ووقع نظره على قنينة شراب وكؤوس، موضوعة على الطاولة، فسألها:

«هل تسمحين بأن أسكب لنفسي كأساً؟»

«طبعاً».

«عليك أن تأخذي معي كأساً، يا داليا».

كانت تنظر إليه وقلبها ينبض في سرعة وتخوف. تقدم منها ووضع كأس الشراب بين يديها فقالت:

«بيتر...»

«لا أحب أن أعلمك الأخبار السيئة على الهاتف... داليا... وقع لغاري حادث سيارة».

«آه، لا!»

«انزلقت السيارة على الأرض المبللة على بعد كيلومتر من بلفدير، وهو مصاب

يكسر في ساقه وصدمة في الدماغ. وهو الآن في المستشفى حيث كنت».

نظرت داليا إلى بيتر، فاغرة الفم، ثم راحت ترتجف فجلس بقربها ووضع ذراعه حول كتفها وقال:

«أعرف أنها صدمة كبيرة، لكن الأطباء أكدوا لي أنه سينجو».

قالت داليا:

«إنها غلطتي...»

«ماذا، يا داليا؟»

«نعم. قلت له اليوم أني لن أتزوجه... فكان في حالة توتر شديد عندما غادر...»

«ماذا قلت له؟»

«إني... آسفة يا بيتر. أعرف، أنك مثل الجميع، تريدني أن أتزوج من غاري. لكني لا أحبه. أعني، أني لست مغرمة به، ولذلك لا يمكنني أن أتزوجه».

وضع بيتر يديه حول رأس داليا. وبدا شاحب الوجه. فقالت:

«إنها غلطتي! أنا السبب في حادث غاري...»

خبّأت وجهها المبلل بالدموع في أحضان بيتر، الذي ضمّها إليه في شدة وقال:

«لا تبكي، يا ابنتي المسكينة. يكفيك ما شعرت به من آلام. طبعاً، أنت غير مستعدة كما يجب للزواج من غاري...»

صرخت وهي تفلت من قبضته:

«كلا، أرجوك. لست فتاة صغيرة لا تعرف ما تشعر به! لا أعرف إلاّ ذلك! أنت بنفسك سبق وقلت لي إن الانسان لا يقدر أن يهرب من نفسه!»

حدقا بعيني بعضهما المسمرتين. فلم يسمعا دقات الساعة ولا صوت المطر على النوافذ، ولا قصف الرعد.

فقال وكأنه في حلم:

« داليا»

ضمها إلى صدره، وللحظة قصيرة راحت تتخبط آلياً. ثم تركت نفسها تذوب مثله كما يذوب الثلج في الشمس.

لم يكن في إمكانها التفكير ولم تكن تريد ذلك. وما يجدي أن سألته لماذا يعانقها؟ فهي بين ذراعيه...

فجأة دفعها عنه ورفع بعصبية شعرها المبلل عن جبينها وقال:

«لا يحق لك. أنت مضطربة وأنا...»

«لماذا عانقتني يا بيتر؟»

«سامحيني، يا داليا، على لحظة الجنون هذه».

لحظة الجنون! ترنحت كأنه صفعها. فأخذها بين ذراعيه من جديد وكأنها غير قادرة على تحمل لمسه فافلتت منه ووقعت فجأة، لكن ساقيها خارتا ووقعت أرضاً.

« داليا»

ارتمى راكعاً قربها وضمها إليه وقال:

« داليا، حبيبتي... أنت حبي...»

« بيتر...»

راحت تداعب خديه وتسرح شعره بيديها وتتحسس سخونة دمعة على خده.

« بيتر... قلبي...»

ناح قائلاً:

«يا طفلتي الحبيبة. هذا جنون منك».

«جنون ناعم. دعني أتذوقه. دعني أعتقد أنني أنا التي تعانق. أنا التي تريد».

قال وهو يرجع إلى الوراء:

«أن أدعك تعتقدين ذلك؟ ماذا تقصدين؟»

«أعرف أن هيلين هي المرأة التي تريد...»

«يا إلهي».

حملها بين ذراعيه وقال:

«لم يكن عندي روح الشباب لأقدم لك، ولا البراءة، ولذلك كان من الأسهل أن أتزوج من هيلين. لكن أنت... منذ اللحظة الأولى التقينا تحت الثلج، لم أكن أريد أن أتركك لحظة. أنت الطفلة. الفتاة الصغيرة ذات العينين الواسعتين والشفتين اللتين لم يقبلهما أحد من قبل. يا ابنتي. أنا أحملك الآن، لكن في النهاية سأضطر إلى تركك».

صرخت وهي تتمسك به:

«لا! آه لا. لا تتركني إذا كنت فعلاً تحبني، يا بيتر!»

«إني كبير عليك يا ابنتي. وأنا رجل قاس ووقح».

همست في حنان:

« بيتر، في داخلك صبي ايرلندي أحبه كثيراً. عدت يا بيتر، واعتقدت أنك عائد لترى هيلين مرة أخيرة. وإذا عدت من أجلي، إذا كنت تحبني، فلا تتركني أبداً».

همس قائلاً:

«سمعتك عندما كنا في بلفدير تقولين لهيلين أنك تحبين غاري».

«قلت ذلك لأخلص عزة نفسي. كادت تكتشف حقيقة مشاعري تجاهك

واستعملت غاري عذراً. إنه انسان طيب... ولم أكن أريد أن أؤذيه أبداً».

«أنت غير مسؤولة عن الحادث يا حبيبتي. أنزلقت السيارة ولحظه انكسرت ساقه لا يده. وهذا من حظه كفنان كبير لامع».

قالت داليا في ابتسامة ساخرة:

«أرجو أن توكل مهمة الاعتناء به إلى غيرسيدا. ألم تحب هيلين، يا بيتر؟»

«كنت وحيداً، يا داليا، والوحدة ليست دائماً ناضجة. وأني سعيد إننا وعينا الحقيقة وفسخنا الخطبة.»

«لكنها قالت لي، إنك، ليلة الخطبة، نظرت إليها بطريقة جعلتها تشعر بأنك تحبها».

«ربما كانت تشبهك قليلاً في تلك الليلة... داليا، هل تعرفين معنى الحب، عند الرجل الناضج؟»

ضمّها بقوة فرفعت عينيها البراقتين نحوه وقالت:

«لست طفلة يا بيتر. إني أحبك وأريدك أن تحبني...»

ولم تتفوه بشيء، لأنه وضع يده على شفتيها وعانقها. وذاب كل شيء... ولم يبق سوى الوعد بحب دائم.

تمت

RED ROUS